السقايات المغربية بمدينتى فاس ومراكش
دراسة أثرية مقارنة مع الاسبلة المملوكية بالقاهرة

دكتور

محمد محمد الكحلاوى

أستاذ الآثار الإسلامية المساعد
بكلية الآثار - جامعة القاهرة

السقايات المغربية بمدينتى فاس ومراكش
دراسة أثرية مقارنة مع الاسبلة المملوكية بالقاهرة

ملخص البحث

يهتم موضوع هذا البحث بإبراز واحدة من أهم معالم العمائر الإسلامية فى المغرب الإسلامى ، وهى السقايات ، والتى عرفت فى المشرق الإسلامى باسم «الاسبلة» .

وهذه الدراسة تعد أول دراسة متخصصة تبحث فى موضوع السقايات المغربية بهدف كشف النقاب عنها والتعرف على أنماطها المعمارية ، وطرق تزويدها بمصادر المياه وطريقة تشغيلها ، وكذلك التعرف على دورها الحضارى الفنى ، حيث حظيت السقايات المغربية باهتمام وعناية حكام المغرب فى كل العصور الإسلامية ، وحرصوا على الإكثار من أبنيتها بهدف توفير الماء العذب الصالح للشرب للإنسان ، وكذلك توفير الماء الطاهر للوضوء فى المساجد والمدارس والزوايا وكذلك مد الدور السكنية بما تحتاجه من الماء .

ومن الجدير بالذكر أن السقايات المغربية مازالت تؤدى دورها إلى اليوم فى سقاية الماء العذب ومد الدور السكنية ، والمناطق الآهلة بالسكان بالمياه النقية الصالحة للشرب ، وبخاصة فى مدينتى فاس ومراكش ، وذلك للطبيعة الخاصة التى تميز موقعيهما .

وسوف ابحث هذا الموضوع من خلال العناصر الآتية :

* الخلفية التاريخية لشبكة توزيع المياه بمدينتى فاس ومراكش وأثرها على عمارة السقايات.
* دراسة التكوين المعمارى والفنى للسقايات المغربية بهدف التعرف على عناصرها الرئيسية ، وطرق تزويدها بالماء ، والأنماط المعمارية الخاص بها .
* دراسة مقارنة بين عمارة السقايات المغربية والاسبلة المملوكية بالقاهرة من خلال التكوين المعمارى لها ومصادر تغذيتهما بالماء ، وكذلك عملية التسبيل فى كل منهما، وبيان أثر الموقع على عمارتيهما .

مقدمة المدلول اللغوى لكلمتى السقاية والسبيل :

لكلمة السقـاية دلالات واضحة ، ومرادفات متعددة ترمى جميعـها إلى معنى واحد وهو السقايـة حيث يذكر ابن منظـور أن السقى بالفتح الـفعل والسقى بالكـسر الشرب ، والسقى مصدر سقيـت سقياً ، والسقاية هى الإناء الذى يسقى مـنه أو الموضع الذى يتخذ فيه الشرب ، ويقال للبـيت الذى يتخذ مجمعاً للماء ويسقى منه الـناس السقاية ، وسقاية الحاج سقيهم الشراب[١] .

والسقاية فـى القرآن الكريم هى الصواع الـذى كان يشرب فيه الملك ، كـما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ** ﴾[٢] . كما ورد فـى القرآن الكريم السـقى بمعنى الـشرب كما فى قولـه تعالى: ﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** ﴾[٣] ، وكذلك فـى قوله تعـالى : ﴿ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ** ﴾[٤] وفـى آيـة أخـرى ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ** ﴾[٥] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا** ﴾[٦] .

أما السبيل فى اللغة فهو الطريق وما وضح منه ، يذكر ويؤنث ، وسبيل الله : طريق الهدى الذى دعا إليه[٧] وفى القرآن الكريم ﴿ **وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا** ﴾[٨] وقوله تعالـى : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ** ﴾[٩] .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، جـ ٣ ، ص ٢٠٤٢ مادة سقى .
(٢) سورة يوسف : الآية ٧٠ .
(٣) سورة الإنسان : الآية ٢١ .
(٤) سورة الشعراء : الآية ٧٩ .
(٥) سورة النحول : الآية ٦٦ .
(٦) سورة الفرقان : الآية ٤٩ .
(٧) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٣٠-١٩٣٢ .
(٨) سورة الأعراف : الآية ١٤٦ .
(٩) سورة النحل : الآية ٩ .

وقد استخدمت فـى قوله تعالى : ﴿ **وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله** ﴾ [1] بمعنى الجهاد ، وكل ما أمر الله به من الخير فهو من سبيل الله .

كذلك يشار إلى أن السبيل مشتق من السـبل أى المطر ويقال اسبلت السماء ، وأسبل دمعه[2] .

وعلى هذا نجد أن السبيل بمعناها الوظيفى كمـبنى للسقاية مشتقة من المعنى الأخير ، ومن الجدير بالذكر ان مصر قد عرفت كلمة السقـاية قبل العصر المملوكى الذى شيدت فيه أكثر الأسبلة ، حيـث أشار ابن دقماق عند حديثه عن الإضافات التـى قام بها عبد الله بن طاهر فى جامع عـمرو بن العاص عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م إلى سقاية كـانت تجاور المسجد بقوله «وزاد فيه رحبه كانت بين يدى دار الرمل وادخل فيه دار لعمر بن محمد بن أبى ليلى الثقفى كان سفلهـا سقاية وعلوها مجلس على السقاية وكـان قد ابتاعها . . . وعوض عن السقاية السقاية المقابلة لقيسارية ذكا التى تحت دار ابن قديد»[3] .

ويتضح من خـلال التحليل اللغـوى لكلمتى السقايـة والسبيل ان كلمة الـسقاية هى الأقرب لوظيفة سقاية الماء العذب من كلمة السبيل .

الخلفيه التاريخية لشبكة توزيع المياه بمدينتى فاس ومراكش وأثرها على عمارة السقايات :

تقع مدينة فاس عند ملتقى طريقين رئيـسيين حددتهما طبيعة الأرض هناك ، أحدهما يبدأ عند شاطىء البحر المتوسط فى طنجـة وسبتة ، ويمتد إلى الصحراء وما وراءها مجتازاً سهل سايس الذى تقوم فاس عند أطرافه مروراً بسلسلة جبال الأطلس الأوسط والكبير[4] .

(١) سورة الحديد : الآية ١٠ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٣١ .

(٣) ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الامصار ، طبعة المكتبة التجارية ، بيروت ، جـ ٩ ، ص ٦٦ .

(٤) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، صادر عن سلسلة مركز الحضارة، لبنان ، ص ص ١٧-١٨ .

أما الطريق الثانى فيبدأ من المحيط الأطلسى إلى الغرب الأوسط ، ولموقع فاس ميزة خاصة تتعلق بغزارة الماء المتدفقة عليه من جبال الأطلس المتوسط ، حيث ساعدت طبيعة تلك الجبال الكلسية فى امتصاص مياه الأمطار وتكوين منطقة من المياه الجوفية ، تتفجر فى سهل سايس ينابيع كثيرة يغذى بعضها نهر فاس ، والبعض الآخر منها تتفجر داخل المدينة على هيئة عيون ينهمر منها الماء[١] ، ويرجع للمرابطين والموحدين الفضل فى بناء وتطوير شبكة توزيع المياه داخل مدينة فاس ، بأسلوب ينم عن عبقرية هندسية فريدة ، حيث استغلت الانحدارات الشديدة التى تشكل طبيعة موقع المدينة ، إلى جانب وفرة ينابيع المياه الداخلية فى تحديد ملامح شبكة توزيع المياه ، وقد بدأ المهندسون فى التحكم فى مداخل المياه القادمة من وادى فاس قبل أن تدخل للمدينة من خلال مجموعة من القنوات الرئيسية تتفرع منها شبكة شديدة التعقيد تسير فى باطن الأرض على أبعاد ومناسيب مختلفة ، وقد صنعت هذه الشبكة من قصاب خزفية متدرجة الأقطار تمتد داخل حارات المدينة بحيث يسهل معها وصول المياه إلى كل أحياء المدينة السكانية ، وقد ساعدت وفرة المياه على إقامة العديد من المنشآت المائية كالسقايات والفوارات والميضآت والحمامات والصهاريج والتى صممت بطريقة هندسية فريدة ومعقدة من قبل مهندسين متخصصين بحيث لا تنقطع منها المياه الجارية ولا تكلفهم نفقة للصرف على تزويدها بالمياه كما هو الحال فى الأسبلة . والتى تحتاج لمجموعة من السقائين لحمل الماء إليها فى أوقات معينة من السنة[٢] .

أما عملية تصريف المياه الزائدة فى السقايات فكانت تتم بواسطة نظام محكم من خلال شبكة للمجارى موازية لحركة جريان الماء ، حيث كانت تعود مياه الصرف الزائدة والفضلات إلى النهر بسهولة وقد استغل المعمارى المحلى فى ذلك الانحدارات الطبيعية للطرق والأزقة[٣] وكانت الطبيعة الخاصة التى تميز المنشآت المائية لمدينة فاس تتطلب صيانة مستمرة من قبل فنيين مهرة مدربين على أعمال الصيانة والترميم السريع ، وبخاصة قنوات المياه المكشوفة حيث كان يجب تنظيفها فى مواعيد معينة مرتبطه بسقوط الأمطار الغزيرة

(١) لتورنو : فاس ، ص ٨ .

(٢) حددت وثائق الوقف الخاصة بالأسبلة مواعيد محددة لملىء الصهاريج بالمياه الصالحة للشرب على أن تكون فى وقت النيروز أى وقت فيضان النيل وذلك ضماناً لجريان المياه وخلوها من الأمراض ، انظر محمود حامد الحسينى : الاسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ص ص ٣٠٧-٣٠٨ .

(٣) لتورنو : فاس ، ص ٤٨ .

على المدينة والتى كانت تحمل معها بعض المواد العالقة التى تترسب فى القنوات وتؤدى إلى اطمائها يضاف إلى ذلك قوة اندفاع المياه المستمرة داخل القنوات وما تحدثه من ثغور تتداعى على آثارها ضفاف تلك القنوات[١] .

أما عن عملية التوزيع والتحكم الداخلى فى مقدار كمية المياه الموزعة على الأحياء السكنية والمنشآت العامة والخاصة والبساتين فكانت تتم بواسطة شخص مسئول عن عملية التوزيع ، وكان موكل إليه أمر زيادة حصة المياه فى جهة ونقصها فى جهة أخرى وذلك على حسب احصائيات دقيقة للمرافق العامة والخاصة والأحياء السكنية فى كل منطقة ، وكانت المياه تتدفق إلى تلك المناطق والمنشآت عبر شبكة مصنوعة من قصاب خزفية تدفق على أبعاد مختلفة فى باطن الأرض وتتميز تلك القصاب بتدرج أقطارها وذلك من أجل إعطاء كمية الماء الجارية بداخلها اندفاعاً فى المناطق والدور المرتفعة .

وعلى هذا كانت القنوات ذات الأحجام الكبيرة تعد الخطوط الرئيسية لمصدر المياه ، بينما كانت خطوط القصاب المغيبة تمثل شبكة التوزيع الداخلى للمياه داخل الأحياء والمنشآت العامة والخاصة[٢] .

وقد خضع نظام توزيع المياه فى مدينة فاس للإشراف الفنى الدقيق من قبل عرفاء مهرة مدربين على أعمال الصيانة ، وكذلك خضعت شبكة توزيع المياه لمراقبة خبراء فى حقوق توزيع المياه كان أكثرهم من فقهاء المدينة وذلك من أجل ضمان توزيع حصص المياه بعدالة بين أهل المناطق المختلفة بمدينة فاس[٣] .

أما السقايات المركزية داخل المدينة فكانت تعد نقاط توزيع للمياه داخل الأحياء والأماكن الآهلة بالسكان والمنشآت العامة والخاصة أيضاً ومنها كان ينقل السقاءون المتجولون المياه إلى المنازل الواقعة فى المناطق البعيدة عن مواضع السقايات ، وكان هؤلاء السقاءون يحملون الماء لتلك المنازل فى براميل من خشب تحمل على الدواب إلى جانب

(١) لتورنو : فاس ، ص ٧٣ .

(٢) لتورنو : فاس ، ص ٤٨ .

(٣) عرفت مدينة فاس منذ عصر المرابطين عملية تقسيم المياه وتوزيعها على المناطق ، وكان القائمون على أمر توزيع المياه من رجال الدين وذلك ضماناً لعدالة التوزيع بين الأحياء . راجع عبد القادر زمامة : وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه فى فاس القديمة ، بحث منشور بمجلة البحث العلمى عدد ٣١ لسنة ١٩٨٠ الصادرة عن جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ص ص ١٤١-١٥٦ .

وظيفتهم الأساسية فى عملية تسبيل الماء للمارة فى الأماكن العامة انظر لوحة (١) ، وكان هؤلاء السقاءون خاضعون بصفة مستمرة لمراقبة المحتسب الذى كان يراقب بنفسه سلامتهم من الأمراض ونظافتهم[١] وكذلك سلامة وصلاحية المياه التى يحملونها .

وقد لعبت السقايات داخل مدينة فاس القديمة دوراً أساسياً فى إطفاء الحرائق التى تنشب فى داخلها ، حيث كان يلزم فى وقت الحرائق على السقاءين التجمع فى الأماكن المنكوبة لسرعة إطفاء الحرائق مستغلين المياه الواقعة بأحواض السقايات والتى لا ينقطع منها الماء أبداً[٢] .

ويمدنا الرحالة الوزان بنصوص متعددة حول حركة توزيع شبكة المياه بمدينة فاس ويحدد مصادرها ، ويوضح طبيعة الأرض وأثارها على حركة جريان المياه فيها فيقول «فاس مدينة كبيرة جداً تحيط بها أسوار متينة عالية وتكاد تكون كلها مشيدة على تلال بحيث ان وسطها وحده هو المستوى»[٣] ، ثم ينتقل الوزان إلى وصف مدينة فاس محدداً مصادر المياه بها ومحصياً اعداد ما بها من عيون طبيعية فيقول : « ويدخل الماء إلى المدينة من نقطتين يمر أحد فروع النهر بالقرب من فاس الجديدة جنوباً ، ويدخل الفرع الآخر إليها من جهة الغرب . . . وتحتوى فاس على ستمائة عين وهى صهاريج طبيعية محاطة بجدران وأبواب تكون مغلقة ، ويوزع ماؤها لمختلف الحاجات على الدور والجوامع والمدارس والفنادق وهذا المآء مرغوب فيه أكثر من ماء النهر الذى يجف أحياناً لا سيما فى الصيف ، اضف إلى ذلك أنه عندما يراد تنظيف القنوات يجب تحويل مجرى النهر خارج المدينة وبذلك تعود الناس جميعاً لاستعمال ماء العين وعلى الرغم من وجود ماء النهر فى منزل الأعيان فانهم يبعثون فى الصيف من يستقى لهم ماء العين ، لأنه أكثر برودة وعذوبة وهم يفعلون عكس ذلك فى الشتاء ومعظم هذه العيون فى غرب المدينة»[٤] .

ثم ينتقل الوزان إلى وصف الشبكة الداخلية لتوزيع المياه على الأحياء والمنشآت فيقول «وبعد دخول الماء إلى المدينة يوزع بواسطة عدد من القنوات تسوق معظمه لدور السكان

(١) لتورنو : فاس ، ص ٧٤ .

(٢) لتورنو : فاس ، ص ٧٤ .

(٣) الحسن بن محمد الوزان الفاسى : وصف افريقيا ، تحقيق الأستاذين محمد صبحى ، ومحمد الأخضر ، مطبعة الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، جـ ١ ، ص ١٧٦ .

(٤) الوزان : وصف افريقيا جـ ١ ، ص ١٧٦ .

ورجال الحاشية الملكية وسائر الابنية الأخرى ولكل جامع ومسجد حقه فى هذا الماء وكذلك الفنادق والملاجىء والمدارس»[1] .

ثم ينتقل الوزان إلى وصف حركة الماء الجارية فى الصهاريج ويحدد ارتباطها الوثيق بالسقايات ويوضح العلاقة التى تربط بينهما فيقول «ويوجد فى كثير من المنازل صهاريج مستطيلة يتراوح عرضها بين ست أذرع وسبعة وطولها بين عشر ، واثنى عشر ذراعاً ويبلغ عمقها ست أشبار أو سبعة تقريباً وكلها مكسوة بمربعات الزليج الميورقى ، ويبنون فى كل جانب من جوانب الصهريج على حوله سقايات منخفضة مزخرفة بنفس الزليج ، وتزدان بعض هذه النافورات المائية بخصات من المرمر على إرتفاع نصف قامة مثلما يشاهد ذلك فى نافورات أوربا ، وعندما يمتلىء حوض كل سقاية يفيض منه إلى صهريج كبير بواسطة قنوات مغطاة مبلطة أيضاً بطريقة جميلة ، وعندما تمتلىء الصهاريج الكبيرة بدورها يخرج منها الماء بواسطة مجارى معدة حولها ، ثم ينصب فى بلوعة صغيرة وهكذا يجرى المآء تحت المراحيض ويذهب إلى النهر ويعتنى بالصهاريج لتبقى فى غاية الصفاء والنقاء ولا تستعمل إلا فى الصيف»[2] . (انظر لوحة رقم ٢) .

أما مدينة مراكش التى اختطها يوسف بن تاشفين المرابطى فى عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م[3] وأحاطها بسور كبير واتمم بنائها ابنه على بن يوسف وأمعن فى تحصينها فى عام ٥٢٦هـ/ ١١٣١ م[4] .

وبالنسبة لموقع مدينة مراكش فقد اختطت فى سهل فسيح واسع يحدها من جهة الشمال الغربى مرتفعات تعرف بايجليز وكدية العبيد ، وعلى مقربة من المدينة من الجهة الشمالية يمر واد تنسفيت ، أما من الجهة الشرقية يجاور المدينة رافد متفرع من وادى تنسفيت يعرف باسم اسبيل ، والمدينة تفتقر الأمطار ولكنها استعاضت عنها بالمياه الجوفية

(١) الوزان : وصف افريقيا ، جـ ١ ، ص ١٧٦ .

(٢) الوزان : وصف افريقيا ، جـ ١ ، ص ١٩٤ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، طبعة بيروت ، جـ٨ ، ص ٧ وانظر على بن أبى أذرع : الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبعة دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ص ١٣٨ .

(٤) مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديث ، ص ٩٠ .

الناتجة عن ذوبان الثلوج التى تتراكم معظم فترات العام على قمم الجبال والمرتفعات التى تحد المدينة من الجهة الشمالية الغربية[1] .

وقد تفنن المهندسون الأندلسيون الذين استقدمهم الأمير على بن يوسف لبناء قنوات المياه لتغذية مدينة مراكش بالمياه التى تحتاجها ، وقد استغل هؤلاء المهندسون فترة ذوبان الثلوج من قمم الجبال ومدوا إليها قنوات سحبوا بها المياه إلى داخل المدينة فى صهاريج ضخمة ، كما نجحوا فى استخراج كميات كبيرة من المياه الجوفية التى ساعدت على عمران المدينة واتساع رقعتها ونخص من هؤلاء المهندسين المهندس عبد الله بن يوسف الذى استقدمه الأمير على بن يوسف المرابطى خصيصاً من الأندلس وذلك لشهرته الواسعة فى مجال هندسة صناعة المياه ، وقد نجح هذا المهندس فى استخراج المياه الجوفية من باطن الأرض بمدينة مراكش بعد أن اجرى سلسلة من العمليات الحسابية الدقيقة قاس فيها مناسيب ارتفاع الأرض وهى الطريقة التى اشتهرت فى المغرب والأندلس باسم «وزن الأرض»[2] ، ويذكر الادريسى الذى زار مراكش ابان حكم المرابطين أن المهندس عبد الله بن يوسف قد جاء إلى مراكش فى صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبى الفضل مولى أمير المسلمين وطلب إليه على بن يوسف استخراج المياه فقصد المهندس عبد الله بن يوسف أعلى الأرض مما يلى البستان واحتفر به بئراً مربعة كبيرة التربيع ثم احتفر فيها ساقية جارية على وجه الأرض ثم تابع عملية الحفر بشكل متدرج إلى أسفل بميزان حتى وصل الماء إلى البستان والماء جارى على الأيام لا ينقطع مع أن عمق الأرض غير قليل والسر فى ذلك هو وزن الأرض ، وقد كافأه الأمير على بن يوسف على صنعته وأمر الناس بتعميم ذلك فكثرت البساتين واتصلت العمارة[3] .

(١) شارك اندريه جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، تعريب محمد مزالى البشير ، طبعة الدار التونسية للنشر ، جزآن ، ١٩٥٥ م ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ .

(٢) يعتبر عصر المرابطين ، عصر الفن الأندلسى المغربى ، وكان على بن يوسف بن تاشفين أكثر اهتماماً بالمبانى وجلب الصناع من الأندلس بكثرة مما كان له أكبر الأثر على ظهور الطابع الأندلسى على المبانى المرابطية وبخاصة فى عهد على بن يوسف . ليوبولدو توريس بالباس : الفن المرابطى والموحدى ترجمة سيد غازى نشر دار المعارف ، ١٩٧٦ ص ٤٦ .

(٣) أبى عبد الله محمد بن عبد الله الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، جزآن ، طبعة الثقافة الدينية ، ص ٤٣ .

كما ذكر «وشرب أهل مراكش من الآبار ومياهها كلها عذبة وآبارهم قريبة معينة وكان على بن يوسف قد جلب إلى مراكش الماء من عين بينها وبين المدينة أميال ولم يستتم ذلك فلما تغلب=

وكانت صهاريج مدينة مراكش على نوعين أولهما : الصهريج المكشوف وهو أكثر إنتشاراً وبنى عادة فى صحون المساجد والمدارس والحمامات والميضآت المغربية ، ومسقطه المعمارى مستطيل الشكل تبنى جوانبه بالآجر أو الحجر وتكسى واجهاتها ببلاطات الزليج ويملىء عن طريق قصاب مغيبه ترتبط بأقرب سقاية من موقعه أو من القنوات الرئيسية . وقد اهتم المعمارى المغربى بالصهريج بوصفه وحدة أساسية داخل عمارة المنشأة الدينية مما أدى إلى إطلاق العامة على بعض المدارس الفاسية «مدرسة الصهريج»[1] .

ومن الجدير بالذكر أن مساجد مصر فى العصر الفاطمى قد عرفت نظام الصهاريج المكشوفة التى تستغل مياهها فى الوضوء والسقاية .

كذلك وجد بمدينة مراكش صهاريج مكشوفة تبنى على مساحات ضخمة خارج المنشآت كان الغرض منها تخزين أكبر كمية من الماء لاستخدامه طول العام لسقاية البساتين ومن أشهرها صهريج اكدال الموحدى .

وقد ذكر صاحب كتاب الاستبصار عن ضخامة هذه الصهاريج التى شادها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من أجل سقاية المدينة والبساتين فقال : «وجلب الخليفة الإمام المياه من أودية درن وغرس بحيرة عظيمة بقرب المدينة قبل نفيس دورها ستة أميال وبنى فيها وخارجها صهريجين عظيمين كنا فى تلك المدة نعوم فيها فلا يكاد القوى منا يقطع الصهريج إلا عن مشقة وكنا نتفاخر بذلك» ثم يستطرد فى وصف صهاريج مراكش التى شيدت من قبل الخليفة يعقوب المنصور فقال «وجلب لها المياه وأخذها فى صهاريج أعظم من المتقدمة»[2] .

= المصامدة على الملك وصار لهم وبايديهم تموا جلب ذلك المآء إلى داخل المدينة وضعوا به سقايات بقرب دار الحجر وهى الحظيرة التى فيها القصر منفرداً متحيزاً بذاته» . الادريسى : نزهة ، ص ٤٤ .

(١) تقع مدرسة الصهريج بمدينة فاس بالقرب من جامع الاندلسيين ، وقد أسسها السلطان أبو الحسن المرينى فى عام ٧٥٢هـ. انظر محمد محمد الكحلاوى : المدارس المغربية ، مجلة العصور ، المجلد ٦ ، جـ ١ ، نشر دار المريخ ، ١٩٩١م ، ص ص ٩٤-٩٥ .

(٢) مؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، طبعة دار الشئون الثقافية بغداد ص ٢١٠ .

أما النوع الثانى من الصهاريج المغربية فهو الصهريج المغطى (انظر لوحة رقم ٣) وهو يتفق من حيث الشكل مع صهاريج الأسبلة المصرية ومن أشهر أمثلة هذا النموذج فى المغرب الصهريج الذى يجاور قبة الباردويين بمراكش[١] ، والذى يتكون تخطيطه من حجرة مربعة الشكل قسمت من الداخل إلى مساحات صغيرة بواسطة حوائط شيدت من الآجر وغطيت بالملاط . ويتصل بهذا الصهريج مجموعة القصاب المغيبة فى سمك جدران الحاط الملاصق لكتلة الصهريج ، وقد وزعت مجموعة القصاب على أبعاد مختلفة كذلك تميزت بإختلاف أحجام أقطارها[٢] (انظر اللوحة رقم ٤) .

السقايات المغربية فى ضوء وثائق الحبوس (الأوقاف)

فى ضوء بعض الوثائق الحبوسية التى وصلتنا عن السقايات المغربية ، والتى أمكن التعرف منها على أسماء مصادر المياه التى كانت تمد بعض السقايات الموحدية فى مدينة مكناس ، وبينت أوجه الانتفاع بتلك السقايات وأسماء الأماكن التى تغذيها بالمياه .

ومن أهم تلك الوثائق ، وثيقة سقاية القيسارية المجاورة للجامع الأعظم بمدينة مكناس ، والمؤرخة فى أوائل عام ١١١٠ هـ/١٦٩٨م وقد عرفت هذه الوثيقة وسجلت تحت اسم أوقاف المساكين[٣] .

وقد تضمن نص الوثيقة وصفاً عاماً للسقاية وحدد اسم مصدر الماء الذى يمد السقاية بالماء الصالح للشرب ، كذلك حددت الوثيقة بعض منافذ توزيع مياه السقاية على بعض مبانى المدينة ، وقد بدأت الوثيقة بنص إشهاد الشهود بما نص : «الشهود يعرفون جميعاً سقاية الماء الكائنة . . . المحتوية على ثلاثة أنابيب من الماء المجلوب من ماء عين تاكمة . . ويشهدون مع ذلك بأن فيض السقاية المذكورة هو ماء حمام حومه الكدية المعروف بحمام المساكين»[٤] .

---

(١) Jacoue Meunie : Nouvelles Recherches. Archeologiques Amarrakech, Paris, 1957, p. 55.

(٢) Ibid. P. 56.

(٣) حوالة أوقاف المساكين رقم ٣ ، ص ١٥٧ مكناس .

(٤) حوالة الاحباس الكبرى رقم ٥ ، ص ٢٩٥ مكناس .

وفى ضوء النص السابق تتضح الصلة الوثيقة التى كانت تربط المنشآت المائية بعضها ببعض وبخاصة فى المنشآت التى ترتبط بمصدر مياه واحد ، وقد أشارت الوثيقة السابقة إلى هذا بأن فيض السقاية ينصرف إلى حمام الكدية .

وهناك وثيقة أخرى مؤرخة بعام ١١١٦ هـ/ ١٧٠٤م تتعلق بتوزيع ماء السقاية المذكورة على مدينة مكناس ومساجدها وسقاياتها وحماماتها ، وسائر ما يستعمل فيه ماء العين المذكور[١] .

ويتضح من نص الوثيقة السابق بأن سقاية القيسارية كانت بمثابة سقاية مركزية يصل إليها الماء من عين تاكمة ثم تقوم هى بتوزيعها على باقى المنشآت العامة بالمدينة بما فيهم السقايات الفرعية ، ومن الجدير بالذكر ان تلك الوثيقتين يرجع تاريخهما إلى عصر السعديين .

أنماط السقايات المغربية فى عصرى الموحدين والمرينيين :

اهتم كل من الموحدين ومن بعدهم المرينيين اهتماماً كبيراً ببناء السقايات وأنفقوا على عمارتها أموالاً كثيرة ، وقد أفادت نصوص المؤرخين عن العديد من السقايات التى أنشئت من قبل الموحدين ، منها ما ذكره صاحب كتاب الاستبصار عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدى بأنه شيد مجموعة من السقايات بمدينة مراكش فقال «ومما شرف به مولانا أمير المؤمنين أبو يوسف حضرته المكرمة . . . ان أرسل فى وسط المدينة ساقية ظاهرة ماؤها ماء قصر المكرم ، تشق المدينة من القبلة إلى الجوف ، وعليها السقايات لسقى الخيل والدواب واستسقاء الناس»[٢] .

وفى ضوء النص السابق يتضح ما كانت تعانيه مدينة مراكش من نقص المياه وان عملية جلب المياه إلى المدن كان قاصراً على الملوك والحكام ومن على شاكلتهم فقط ، كذلك يتضح الترابط بين مجموعة من المنشآت المائية حول ساقية مركزية .

كذلك أمدنا كل من القاضى المكناسى والجزنائى بمعلومات تفيد بأن الخليفة الناصر

(١) حوالة الأحباس الكبرى رقم ٥ ، ص ٢٩٦ مكناس .

(٢) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢١٠ .

الموحدى هو الذى شيد السقاية الواقعة على يسار الباب الكبير من الخارج بجامع الأندلسيين[١] .

ومن الجدير بالذكر أن السقاية مازالت قائمة على يسار الباب (انظر اللوحة رقم ٥) .

والسقاية ذات نمط معمارى بسيط فهى تتكون من جزءين الجزء العلوى عبارة عن صدرية من الزليج يخرج من وسطها فتحة صغيرة دائرية الشكل قطرها ٤ سم يتدفق منها الماء فى حوض مستطيل الشكل امتداده ٢,٣ م وعرضه ٧٠ سم وارتفاعه ١,١٠م (انظر اللوحة رقم ٥ ، والشكل رقم ١)

والسقاية يأتيها الماء من الفوارة التى تتوسط صحن جامع الأندلسيين والتى تستمد مياهها من عين طبيعية ، اما الماء الزائد من حوض السقاية فهو يفور إلى مجرى آخر يصل الماء إلى مراحيض جامع الأندلسيين[٢] (انظر اللوحة رقم ٢ ، والشكل رقم ١) .

وهذا النموذج من السقايات الموحدية سوف يعبر عن النموذج التقليدى للسقايات المغربية فى العصور اللاحقة على العصر الموحدى ، اما السقايات المرينية فقد نالت عمارتها أهمية كبيرة من قبل سلاطينهم وبخاصة فى عهد أبو الحسن المرينى الذى يذكر عنه ابن مرزوق بأنه شيد بجميع مدن المغرب اعداداً هائلة من السقايات وجلب لها المياه من أماكن بعيدة واستشهد بمدينة سلا التى شيد بها السلطان أبو الحسن المرينى سقاية جلب إليها الماء محمولاً على قناطر ممتدة لسبع أميال[٣] .

ومن نماذج السقايات المرينيه الباقية نموذجين احدهما تقليدى وهو الواقع بمدينة فاس ، والنموذج الثانى يقع بمدينة مكناس ، وهو متطور عن النموذج الأول ، ولكن نظرا لعامل

(١) ذكر القاضى المكناسى : ان الخليفة الناصر الموحدى أمر ببناء سقاية وبيت لصلاة النصاء . . . وذلك عن يمين الخارج من الباب المدرج الكبير .
انظر أحمد بن القاضى المكناسى : جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، نشر دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٣ م ، ص ٧٩ .
وانظر على الجزنائى : جنى زهرة الاس فى بناء مدينة فاس المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٧ م ، ص ٧٢ .

(٢) Terrasse (H) La Mosguee des Andaleus, A, Fes Paris, 1956, p. 24.

(٣) محمد بن مرزوق التلمسانى : المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن ، تحقيق ماريا خيوس ، الجزائر ، ١٩٨١م ، ص ٤١٧ .

الزمن ، وتداعى معظم السقايات التى شيدت من قبل الموحدين والمرينيين إلا أنه ما تبقى منها يمكن ان يعطينا تصوراً واضحاً عن الأنماط المعمارية التى كانت سائدة فى عصرهم .

سقاية سبع أنابيب (بمكناس) :

تقع هذه السقاية بمدينة مكناس القديمة ، وقد شيدت من قبل السلطان أبو الحسن المرينى[1] والسقاية استمدت اسمها من خلال اعداد فتحات المياه السبع التى يفور منها الماء إلى حوض السقاية ، وهذا النموذج من السقايات يعد وفقاً لزمنه أى فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى نموذجاً متطوراً وان كان لم يخرج عن روح التخطيط العام لعمارة السقاية .

ولكن المساحة الكبيرة التى يشغلها موقع السقاية ، حيث خططت السقاية على هيئة مستطيل الشكل أبعادها ٧,٢٠ م امتداد ٣,٦٥ عرض ، ٩,٢٠ م إرتفاع . انظر الشكل رقم ١ ، ٢ والسقاية نفسها عبارة عن صدرية مستطيلة الشكل قسمت إلى ثلاثة أقسام أوسطها أوسعها ، حدد كل قسم بأطار زخرفى اتخذ شكل العقد الحدوى من النوع الدائرى انظر الشكل رقم ١ ، ٢) ، وتضم الصدريات الثلاث للسقاية سبع فتحات للمياه وزعت ثلاث فى الصدرية الوسطى واثنتان على كل صدرية من الجانبين[2] انظر الشكل رقم ٢ .

أما حوض السقاية فقد اتخذ مسقطاً مستطيلاً امتد بامتداد الصدريات الثلاث ، وهو من الرخام ، وقد ركب على تلك السقاية سقيفة بارزة حملت واجهاتها على أربعة أعمدة انظر الشكل ٢ ، ٣ ، ٤ ، أما واجهة السقيفة فقد قسمت إلى ثلاث فتحات بواسطة أربعة أعمدة تميزت الفتحة الوسطى بأنها أكثر إتساعاً ، وذلك مراعاة من المعمارى لنفس التقسيم الفنى لمجموعة الصدريات الداخلية انظر الشكل رقم ٢ ، ٣ ويعلو تلك السقيفة سقف

(١) تعرف سقاية سبع أنابيب بمكناس بالسقاية الكبرى أو سقاية الجمعة وهى من تأسيس الدولة المرينية ، وكانت لهذه السقاية أوقاف خصصت لكل فرد يأتى لحمل المياه من السقاية وتكسر له انيه ، فيعطى من القيم على أمر السقاية وتنفيذا لأمر الواقف انيه عوضاً عن التى كسرت .
راجع محمد المنوفى : التخطيط المعمارى لمدينة مكناس عبر أربعة عصور ، مجلة كلية الآداب ، الرباط ، ص ص ٤٥-٤٦ .

(٢) المنوفى : التخطيط المعمارى ، ص ٤٦ .

جمالونى من مستويين الداخلى صنع من البراطيم الخشبية بينما الخارجى صنع من حطات القرميد انظر الشكل رقم ٥ . وفى الواقع أن السقاية فى مجملها تسجل تطوراً مرينياً لعمارة السقايات المغربية[١] .

سقاية سيدى فرج بفاس[٢] : (لوحة ٦ وشكل رقم ٦ أ - ب)

تقع سقاية سيدى فرج بمدينة فاس القديمة بسوق العطارين على مقربة من جامع القرويين ، ويذكر الباحث الفريد بل "M, ALFED BEL" أن مسمى السقاية حديث وهو مستمد من اسم الباب الصغير المؤدى إلى سوق العطارين والمعروف بباب الفرج والذى تجاوره سقاية صغيرة تعرف باسم سقاية المسألة ، وعلى هذا أطلق العامة على هذه السقاية سقاية سيدى فرج من باب التيمن بالفرج حيث لا يوجد ولى أو مقبرة يحمل هذا الاسم[٣] وان شخصية فرج ليست لها وجود ، ولكن الاسم اطلق على بعض من العمائر التى يتردد عليها العامة ومن أمثلتها بيمارستان سيدى فرج بفاس وهناك طريق يعرف بطريق الفرج .

ومن الجدير بالذكر أن سقاية سيدى فرج تحتفظ بلوح رخامى مثبت من أعلى واجهتها يتضمن نص التأسيس قام بقراءته الباحث الفريد بل وعلق عليه ، والنقش يفيد بآن السقاية من عمل السلطان أبو محمد بن عبد الحق فى عام ٨٤٠ هـ / ١٤٣٩ م[٤] كما تضم الواجهة افريزاً خشبياً نقش عليه تاريخ آخر يقرأ ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م ، وهذا التاريخ ينم عن أعمال الترميم التى الحقت بعمارة السقاية[٥] .

أما نص التأسيس فهو مكون من عدة سطور منقوشة على الرخام بطريقة الحفر الغائر، وقد تلاشى الجزء العلوى من الكتابة ويقرأ على النحوى التالى :

* الحمد لله حق حمده * وصلى الله على سيدنا محمد نبيه + الكريم .
* وعبده * أمر بإنشاء هاذه السقاية + المباركة واختراعها شرف .

(١) تميزت سقاية سبع أنابيب بتكوينها المعمارى الجديد بالنسبة للسقايات ذات التخطيط التقليدى .

(٢) A Alfred (Bel), Inscriptions Arabes De Fes, Paris 1919, p. 72.

(٣) Ibid, p. 75.

(٤) Ibid, p. 78.

(٥) Ibid, p. 76.

* ملوك بنى مرين + ومشرف أوضاعها ، مولانا السلطان المؤيد + المعان
* على الحق * أبو محمد عبد الحق * ابن + مولانا السلطان المرحوم
* الشهيد * مولانا + أمير المسلمين أبى سعيد * أيد الله ملكه +
* وسلطانه * وشرف بايه الحميده بلاده * وان هاته + امضاء لسديد
* نظر وزيره المعظم المقرب + المكين ، وخلاصة الناجح المؤتمن
* الأمين * المشيد + عليه بذلك * السالك به فيما يقربه إلى الله
* تعالى + أحسن المسالك * أبو زكريا يحيى بن زيان الوطاسى + وصل
* الله سعوده + وسنى فيما يهومه من رجاء + واطال الله أمله الكريم
* ومقصوده ، فشيد لله * شافها + وكمل تشييدها وفجر ماءها * اول
* جماد + الاول من عام أربعين وثمانى مايه عرفنا الله خيره[1] .

انظر اللوحة رقم ٦ والشكل رقم ٥ .

ومن خلال النص السابق تتضح بعض الحقائق الهامة مثل وجود اسم الوزير بجانب اسم السلطان ، وقد اقترن اسم الوزير بمجموعة من النعوت والمديح والألقاب الضخمة أكثر من الألقاب التى اقرنت باسم السلطان نفسه وفى الواقع أن هذه عادة يمكن ان نرصدها على جميع المواد الأثرية وبخاصة على السكة حيث أن إضافة اسم الوزير أو العامل بجوار اسم السلطان يمثل حقيقة هامة وهو ضعف سلطة السلطان أو الحاكم وزيادة نفوذ صاحب الاسم المضاف[2] .

وفى حالة النقش السابق تأكيداً على الحقيقة السابقة وهو ضعف سلطة الدولة المرينية ارتبط بضعف سلطة حكمها مما أطمع الوزير الوطاسى فى إكساب نفسه صفات ونعوت كانت دائماً مرتبطة بأسماء السلاطين ، علماً بأن أسرة بنى وطاس هى التى سوف ترث عرش الدولة المرينية فى المغرب ، أما التكوين المعمارى للسقاية فقد خطط وفقاً للنظام التقليدى الذى يتكون من واجهة بارزة يعلوها كورنيش بارز محمول من الجانبين على عمودين غطيت أبدانهما بالفسيفساء الخزفية (انظر اللوحة رقم ٦ والشكل رقم ٦ - ب).

(١) Ibid, p. 78, Fig. 17.

(٢) Ibid, p. 82.

ويتوسط واجهة السقاية من أعلى عقد متعدد الرؤوس يحيط باللوح الرخامى المتعمق النص التأسيسى انظر اللوحة رقم ٦ ، اما صدرية السقاية فقد أوجدها المعمارى فى دخلة عميقة نفذت على هيئة عقد حدوى من النوع المدبب ، وقد كسيت الصدرية بالفسيفساء الخزفية ، وتخرج من واجهة الصدريه من أسفل ثلاث فتحات وضعت على مستوى واحد من بداية ارجل عقد الصدريه[١] (انظر اللوحة رقم ٦) والشكل رقم ٦ أ - ب)

وتخرج المياه من الفتحات الثلاث إلى حوض مستطيل الشكل امتداده ١,٩م وعرضه ٨٢سم وارتفاعه ٧٤سم غطيت واجهته بالفسيفساء الصغيرة ، أما أرضية الحوض فقد فتح بها تجاويف تصرف إليها المياه الزائدة (انظر اللوحة رقم ٦).

تجاور هذه السقاية ميضأة يدخل إليها الماء من خلال قصاب مرتبطة بالسقاية ، وأهم ما يميز سقاية سيدى فرج المرينية تخطيطها الذى استوحى منه بعد ذلك المعمارى السعدى بعض الملامح المعمارية والفنية[٢] ، كذلك تمتاز سقاية سيدى فرج بظهور العقد متعدد الرؤوس ، وهو نموذج للعقود الاندلسية ، أما مجموعة الكتابات التى تضمها سقاية سيدى فرج فيذكر الفريد بل بأنها تحتل مكانة مرموقة فى مستقبل الكتابات العربية المغربية فى العصر المرينى[٣] .

والخلاصة :

وخلاصة القول أن سقاية سيدى فرج بفاس مع ميضأتها إلى جانب عناصرها المعمارية والفنية وموادها المختلفة من رخام وآجر وزليج وجص وخشب تمثل نموذجاً فريداً ومتكاملاً للسقايات المرينية على الرغم من الترميمات التى ادخلت على عمارتها فى بعض العصور اللاحقة انظر اللوحة رقم ٦ ، والشكل رقم ٥ .

(١) Ma Ecais (G) : Manuel dart Musulman, Edit ygusle Picard, Paris, 1929, p. 748.

(٢) Ibid, p. 694.

(٣) إبراهيم حركات : السياسة والمجتمع فى العصر السعدى ، طبعة دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م ، ص ص ٢٩٨-٢٩٩ .

السقايات السعدية بمدينتى فاس ومراكش

تميز الفن المغربى فى عهد السعديين بتأثره الكبير بالفن الأندلسى المورسكى ، حيث لعب الفن الأندلسى دوراً أساسياً فى تطور الفنون المغربية منذ القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، وذلك نتيجة للهجرات المستمرة التى كانت تقذف بها مدن الاندلس على الشواطىء المغربية ، كذلك استقبل العصر السعدى بعض التأثيرات الفنية الواردة من الغرب والشرق معاً ، وذلك نتيجة الدور الكبير الذى لعبه بعض المرتزقة والرقيق والاعلاج الوافدين على المغرب من صقلية وفرنسا وإيطاليا واسبانيا[١] .

هذا إلى جانب تأثر الفن السعدى بالفنون المحلية حيث تظهر لنا جليا التأثيرات الموحدية فى الإضافات المعمارية التى أدخلها السعديون على منشآتهم بمراكش هذا من جانب ومن جانب آخر يعتبر الفن السعدى استمراراً للفن المرينى وبخاصة فى أعمال النقش على الجص والخشب[٢] ، واستخدام التكسيات الخشبية والجصية وبلاطات الزليج على واجهات العمائر وبخاصة العقود والمداخل والسقايات ومن أشهر ملوك السعديين الذين اظهروا اهتماماً كبيراً بأعمال البناء فى المغرب الأقصى كان عبد الله الغالب ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م ومحمد المهدى ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م وأحمد المنصور ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م[٣] .

وقد طبع الفن السعدى فى فترة حكمهم بطابع الفن الأندلسى الغرناطى ويتضح ذلك فى عمائرهم الدينية والمدنية ، وبخاصة فى قصر البديع ، وقبور السعديين بمراكش وأبواب الرباط وسلا والسقايات التى شيدوها فى فاس ومراكش .

وتظهر ملامح التأثير الغرناطى فى تلك العمائر من خلال النقوش القرآنية ، والشعرية والتى استخدمت بكثرة على واجهات عمائرهم وبخاصة واجهات السقايات فى فاس ومراكش والتى تذكرنا إلى حد كبير بسقايات صحن السباع بغرناطة[٤] ، ومن أشهر السقايات السعدية الباقية .

---

(١) حركات : العصر السعدى ، ص ٣٠٠ .

(٢) Marcais : Op. Cit., V. Z., p. 741.

(٣) حركات : العصر السعدى ، ص ٢٩٩ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور فى الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٦م ، ص ص ١٤٤-١٤٥ .

سقاية جامع باب دكالة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م[١] .

سقاية جامع المواسين ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م[٢] .

سقاية سيدى حسن ٩٥٠هـ/ ١٥٧٢م .

سقاية اشرب وشوف القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى .

سقاية على بن يوسف القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى[٣] .

سقاية جامع القرويين الشرقية ٦٦٩هـ/ ١٥٦٨م[٤] .

سقاية جامع القرويين الغربية ١٠٢٢هـ/ ١٦٠٣م .

سقاية جامع الهنا (الفنا) من بناء أحمد المنصور .

سقاية سيدى سليمان الجزولى القرن ١١هـ/ ١٧م .

انظر اللوحات أرقام (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) .

وقد تميزت السقايات السعدية بتطور واضح فى عمارتها عن السقايات الموحدية والمرينية ، وذلك نتيجة براعة المهندسين السعديين فى مجال صناعة هندسة المياه وسوف نتناول بالدراسة نماذج من السقايات السعدية للتعرف من خلالها على أهم ملامح عمارتها وخصائصها الفنية .

(١) باب دكالة من أبواب قصبة مراكش الموحدية انشئ فى عهد يعقوب المنصور الموحدى .
راجع ابن أبى زرع : القرطاس ، ص ٢١٣ .

(٢) يعرف هذا الجامع باسم جامع الاشراف نسبة لعائلة من الأشراف تحمل لقب المواسين كانت قد سكنت بجوار الجامع فأطلق العامة هذا الاسم على الجامع والحى .
أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى : الاستقصاء لآخبار دول المغرب الأقصى ، طبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ، جـ٥ ، ص ٤١ .

(٣) ينسب هذا الجامع لأمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين المرابطى الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ، طبعة دار الثقافة ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

(٤) عن جامع القرويين انظر ابن أبى زرع : القرطاس ، ص ص ٥٤-٧١ .
وابن القاضى : جذوه ، ص ٥٢ ، والجزنائى : زهرة الآس ، ص ٤٥ .

سقاية جامع المواسين ٩٧٠-٩٨٠هـ/١٥٦٢-١٥٧٣م.

تقع هذه السقاية بمدينة مراكش بجوار جامع المواسين ومخططها المعمارى عبارة عن دخلة عميقة اتساعها ٣,٨٠ سم وارتفاعها ٤,٦٥سم توجت من أعلى بتلبيسة خشبية يعلوها رفرف خشبى محمول على كوابيل خشبية (انظر اللوحة ٧) . ويصدر السقاية من الداخل حوض رخامى مستطيل الشكل امتداده ٢,٩٠ سم وارتفاعه ٨٠سم وعرضه ٧٢سم يعلوه صدرية معقودة كسيت بالكامل ببلاطات الزليج (انظر اللوحة رقم٧) . ويتوسط الصدرية من أسفل ثلاث فتحات دائرية يخرج منها الماء إلى حوض السقاية شكل رقم ٧).

وتضم واجهة السقاية كتابات قديمة أوجدها الفنان داخل خرطوشين منفصلين بواسطة شكل هندسى مستطيل الشكل يعلوه عقد شغل الفنان باطنه بصفين من المقرنصات الدالية، وقد نفذت الكتابة داخل الخرطوشين بطريقة الحفر الغائر وهو نفس الأسلوب الذى ظهر فى أشكال الكتابات بقصر الحمراء بغرناطة[١] (انظر اللوحة ٧ والشكل ٧) .

والكتابة الموجودة على الخرطوشين هى عبارة عن بيت من الشعر مكتوب بالخط الكوفى يقرأ فى الخرطوش الأول (أحسن ما صرف فيه المقال) وفى الخرطوش الثانى (الحمد لله على كل حال) وهذه العبارة دائمة التكرار على السقايات السعدية[٢] .

أما فى داخل السقاية فقد شغل الفنان الافريز الخشبى الحامل للسقف بنقش آخر مكتوب بالخط الكوفى منفذ بطريقة الحفر عبارة عن بيت من الشعر يقرأ فى الشطر الأول (بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا) وعلى الشطر الثانى يقرأ (وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا) .

وهذا الأسلوب فى الكتابة وما تحتويه من مضامين يذكرنا بنفس الأسلوب الذى انتشر فى الكتابات الشعرية فى الفن الغرناطى[٣] .

كذلك أوجد الفنان نقش ثالث يشغل موقعه وسط الصدرية التى تعلو حوض السقاية، وقد حدد النقش داخل إطار مربع بداخله عبارة كتبت بالخط الكوفى المورق تقرأ

(١) Wa Shington, (Irving) : Les tresors De L'Alhambra, pp. 36-37.

(٢) Deverdun (G) : Inscriptions Arapes de Marrakech, Rapat, 1956, p. 161.

(٣) هذه الأبيات الشعرية أعيد ترميمها فى وقت متأخر غير محدد التاريخ .

Ibid. p. 162.

«لا إله إلا الله محمد رسول الله» . أما عن الزخارف الفنيـة التى شغل بها الفنان واجهات السقاية من الخارج والداخل فهى عبارة عن زخارف نـباتية مورقة نفذت فى الخشب بطريقة الحفر . وتنسب عمـارة السقاية إلى عصر الملك عبد الله الغالـب ، ومن الجدير بالذكر أن سقاية جامع المـواسين شيدت داخل مجموعة معماريـة متكاملة تأثر فيها المـعمارى المغربى بنظام المجمعات الدينية التى انتشرت فى مصر فى العصر المملوكى الجركسى[١] .

وكانت هذه الـسقاية مصدر تغـذية الحى بالكامل بـالمياه الصالحة للـشرب . أما عن مصدر الماء الـذى كان يمدها فكان غالـباً من خلال صهريـج مجاور ، ولكنه غيـر متصل بشكل مباشر بجسم السقاية .

سقاية سيدى حسن بوعلى[٢] :

تقع هذه الـسقاية بمدينة مـراكش بالقرب من جـامع دكالة الذى يعد مـن أكبر أبواب مدينة مراكش القديمة .

والسقاية من حيث التصميم المعمارى تشبـه تصميم سقاية جامع المواسين فهى تتكون من دخلة عميقة اتساعها ٣,٨٠م وارتفاعها ٤,٢٠م وعمقها ٢,٧٥م تقريباً ، وهى تماثل من حيث الـتكوين المعمارى والـزخرفى سقاية جـامع المواسين ، ويذكر البـاحث ديفردان (Deverdun) انه من الخـطأ أن تنسـب نشأة تلك الـسقاية إلى أم المـلك أحمد المـنصور السـعدى ، ويؤكد عـلى أن تلـك السقـاية هى من إنـشاء السـيدة مسـعودة بنت أحـمد الوزكيتى، والتى ينـسب إليها بناء مسجد باب دكالة ، اما اسـم «حسن» الذى اشتهرت به السقاية لدى العامة فهو اسم الشيخ الذى كان يعمل أستاذاً فى مدرسة تحفيظ القرآن بمسجد باب دكالة[٣] .

---

(١) عن نظام المجمـعات الدينية فى العـصر المملوكى راجع محمـد مصطفى نجيب : نظـرة جديدة على النظام المـعمارى للمدارس المتـعامدة وتطوره خلال العـصر المملوكى الجركـسى ، مقالة بمجلـة كلية الآثار، الكتاب الذهبى ، ١٩٧٨م ، ص ص ٢٠-٢٢ .

(٢) Deverdun, Op. Cit., 161.

(٣) Ibid. p. 162.

وقد حاول الباحث ديفردان تأريخ بناء السقاية وفقاً لأسلوب الكتابات المنقوشة على واجهاتها الخارجية والسقف الداخلى بانها توحى بفترة حكم السلطان مولاى أبو عبد الله[١] .

ومهما اختلفت الآراء حول اسم المنشىء إلا أنه من الثابت أن السقاية من العصر السعدى وفقاً لطرازها المشابه لطراز السقايات السعدية فى مراكش وفاس[٢] .

سقاية اشرب وشوف (القرن ١٠هـ/١٦م)[٣] :

تقع هذه السقاية بمدينة مراكش القديمة على مقربة سوق المدينة ، وهى تتكون وفقاً للطراز السعدى السائد من دخلة عميقة توجت بتلبيسات من الخشب المزخرف يعلوها رفرف بارز محمول على كوابيل خشبية ، أما من الداخل فهى تحتوى على حوض رخامى مستطيل الشكل يعلوه صدرية من الزليج يتوسطها ثلاث فتحات لخروج الماء (انظر لوحة رقم ٨) .

وتضم السقاية مجموعة من النقوش الكتابية المنقوشة بالخط الكوفى بطريقة الحفر فى الخشب وزعت على جامتين بيضاويتين الشكل تحتوى على بيت من الشعر ، وهو نفس الأسلوب الذى وجدناه فى سقاية جامع المواسين والذى يؤكد على وجود التأثيرات الأندلسية الغرناطية . أما عن تاريخ بناء السقاية فيذكر ديفردان احتمالين أولها وهو الأرجح انها تعود وفقاً لطرازها المعمارى والنقوش الكتابية إلى العصر السعدى . بينما يرى فى الاحتمال الثانى نسبة تلك السقاية إلى فترة أقدم من العصر السعدى استناداً على أشكال العناصر الزخرفية النباتية المكونه من مراوح نخيلية[٤] وهذا الأسلوب من الزخرفة النباتية ساد فى العصر الموحدى والمرينى[٥] .

(١) Deverdun, Op. Cit., p. 162.

(٢) يرى حركات أن السقاية هى من إنشاء مسعودة بنت أحمد أم الملك أحمد المنصور ، بينما يرى ديفردان عكس ذلك . انظر حركات : العصر السعدى ، ص ٣١٠ .

Deverdun : Op. Cit., p. 162.

(٣) ربما جاء اسم السقاية من خلال الوظيفة التى تؤديها وأيضاً من خلال الثراء الفنى والزخرفى التى ازدانت بهما تلك السقاية .

(٤) Deverdun : Op. Cit., p. 162.

(٥) بالباس : الفن المرابطى ص ٤٦ .

سقاية على بن يوسف (٥١١هـ/١٧م):

تقع هذه السقاية بمدينة مراكش بالقرب من جامع على بن يوسف والسقاية لا تحمل تاريخ إنشاء ولكن وفقاً لطرازها المعمارى فهى تنسب للعصر السعدى، وتخطيطها المعمارى يتكون من دخلة عميقة اتساعها ٢,٥٠م وارتفاعها ٤,٢٥م وعمقها ٢,٨٥م توجت من أعلى بعتب مستقيم حمل من الجانبين على كوابيل خشبية ترتكز من الجانبين أيضاً على أعمدة مدمجة لها تيجان إسلامية ويتوج دخلة السقاية من أعلى رفرف خشبى بارز محمول على كوابيل خشبية أما صدر واجهة السقاية فقد شغل بمجموعة من المحاريب الصغيرة المعقودة فى إطار هندسى يذكرنا بأسلوب زخرفة المحاريب القيروانية وكذلك القرطبية[١] .

أما صدر السقاية فهو يحتوى على حوض رخامى مستطيل الشكل يشغل كامل امتداد السقاية وعرضه ٧٥سم وارتفاعه ٨٠سم اما صدرية السقاية فقد كسيت ببلاطات الزليج . (انظر لوحة رقم ٩) .

وقد قرأ الباحث ديفردان الكتابات الواقعة على واجهة صدر السقاية من الداخل فى الجزء الواقع أعلى الحوض الرخامى بالقرب من مخرج الماء . وهو عبارة من ثلاثة أسطر نقشت فى الرخام كتبت بالخط الكوفى البارز :

يقرأ فى السطر الأول : بسم الله الرحمن الرحيم

وفى السطر الثانى : الحمد لله الذى هدانا لهذا

وفى السطر الثالث : ومولانا محمد الرسول[٢]

وقد قارن ديفردان أسلوب الخط مع الكتابات العلوية وأكد على بعد الأسلوبين عن بعضهما وعلى هذا نسب ديفردان تلك السقاية إلى العصر السعدى وبخاصة فى فترة الملك أبو عبد الله السعدى وذلك استناداً على أسلوب الخط وطريقة تنفيذه والتى تتشابه إلى حد كبير مع سقاية جامع المواسين وعلى هذا ارخ ديفردان السقاية بعام ١٠٢٢هـ/ ١٦٠٣م[٣] .

---

(١) أحمد فكرى : المسجد الجامع بالقيروان بمطبعة دار المعارف ، ١٩٣٦ ، ص ١٢٤ .

(٢) Deverdun : Op. Cit., p. 162.

(٣) Ibid, p. 162.

السقايتان بجامع القرويين :

شيدت فى عهد الشرفاء السعديين بجامع القرويين سقايتان تقعان على جانبى الصحن تواجه كل منهما الأخرى ، (انظر اللوحة رقم ١٠) .

السقاية الشرقية من بناء مولاى أحمد المنصور ٩٨٦هـ/ ١٠١٢م ، والسقاية الغربية من بناء الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد الشيخ حفيد المنصور ١٠٢٢-١٠٣٤هـ/ ١٦٠٣-١٦٢٤م ، وقد جاء توزيع السقايتان على محور واحد يتوسطهما فوارة مشابهاً إلى حد كبير التقسيم الهندسى لسقايات بهو السباع بقصر الحمراء بغرناطة[١] ، (انظر اللوحة رقم ١١)

الوصف المعمارى للسقايتين :

يتكون التصميم المعمارى للسقايتين من قبة خشبية محمولة على ثلاث واجهات معقودة قسمت كل واجهة ، بواسطة ثلاثة عقود ترتكز أرجلها على ثمانية أعمدة رخامية ذات تيجان وقواعد إسلامية (انظر اللوحة رقم ١٢ أ - ب ، ١٣ أ ، ب).

أما الواجهة الرابعة لكل منهما فقد دمجت والتصقت مع الجدارين المتصلين بالجناحين الذين يكتنفا صحن المسجد من الجانبين . (انظر اللوحات أرقام ١٢ ، ١٣) .

وإذا كانت أعمدة القبة الشرقية تمتاز بتيجانها التى تحتفظ بطابعها وأسلوبها المغربى المحلى الذى عرف منذ عهد بنى مرين فان أعمدة القبة الغربية مختلفة تماماً إذا امتازت أبدانها بتضليعات ، وهذه الأعمدة استجلبت من إيطاليا[٢] (انظر اللوحة رقم ١٣ - أ)، ومن الجدير بالذكر ان بعض تيجان تلك الأعمدة تحمل اسم السلطان المرينى أبى الحسن وتاريخ الإنشاء مؤرخ بعام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م[٣] وهذا يفيد أن تلك الأعمدة مرينية ولكن أعيد استعمالها فى العصر السعدى على النحو التى عليه الان ،(انظر اللوحة رقم ١٣) .

هذا وقد قسم المعمارى كل واجهة من واجهات السقايتين إلى ثلاث فتحات ميز الوسطى منها بأن جعلها أكثر اتساعاً وارتفاعاً (انظر اللوحة رقم١٢ ، ١٣) .

---

(١) سالم : المساجد والقصور ، ص ١٤ .

(٢) عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، نشر دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، جـ٢ ، ص ٣٣٦ .

(٣) التازى : القرويين ، جـ٣ ، ص ٣٣٧ .

كذلك ميز الفنان فتحة العقد الأوسط فى كل واجهة بتلبيسات خشبية كما شغل باطنها بعناصر مقرنصة ذات دلايات انظر اللوحة رقم (١٢ ، ١٣) .

ويعلو واجهات السقاية من الجهات الثلاث الشمالية والجنوبية والشرقية افريز خشبى نقش عليه كتابات نقشت بالخط النسخ المغربى نفذت بطريقة الحفر تتضمن اشعاراً تحدد وظيفة السقاية وتاريخ الفراغ من إنشائها .

ويظلل واجهات السقاية من الجهات الثلاث رفرف خشبى بارز محمول على صف من الكوابيل الخشبية ، وقد غطى الفنان سطوح جميع الأعمال الخشبية بالسقاية بزخارف نباتية مورقة نفذت جميعها بطريقة الحفر .

أما سقف السقاية فهو مكون من مستويين المستوى الداخلى عبارة عن قبة خشبية أما الخارجى فغطى بحطات من القرميد المزجج باللون الاخضر (انظر اللوحة رقم ١٣ - ب).

أما بقية واجهات عقود السقاية من الخارج فقد شغلها الفنان بتكسيات جصية رائعة بعضها نفذ داخل تشكيلات هندسية من المعينات والتى تعرف فى الفن المغربى الأندلسى باسم الزخرفة الشبكية ، والبعض الآخر منها زخرف بزخارف نباتية مورقة قوامها مراوح نخيلية وقد حاكى المعمارى والفنان فى عمارة وزخرفة هاتان السقايتان النموذج الأندلسى الواقع فى قصر الحمراء بغرناطة وهو الأسلوب الفنى الذى ساد فى فترة حكم السعديين (انظر شكل رقم ٨) .

أما أرضية السقاية فهى تتكون من حوض رخامى مربع ابعاده ٣,٦٠سم × ٣,٦٥سم يعلو من الأرض بمقدار ٥٠ سم ويتوسط الحوض خصة رخامية دائرية الشكل اتساع قطرها ١,١٠ متر ترتكز على عمود مربع منحوت من الرخام ، ويتوسط أرضية الخصة بزبوز من النحاس يفور منه الماء فى حوض الخصة الدائرية ، وعند امتلائها يفور الماء إلى أرضية الحوض الذى ينساب من على جانبيه الماء لتصرف فى مجارى أرضية (انظر اللوحة رقم ١٢ ، ١٣) يصل إلى موقع المراحيض .

وهذا النوع من السقايات يعد النموذج المتطور فى عمارة السقاية المغربية . ولأول مرة تسجل الكتابات التذكارية على واجهات تلك السقايات الوظيفة المنوطة بها عمارة السقاية من خلال الأبيات الشعرية التى تزين واجهات السقايات من الخارج والداخل ، وقد تمكن الدكتور عبد الهادى التازى من قراءتها ، حيث يقرأ على القبة الشرقية التى تغطى الخصة

التى شيدها الملك المنصور السعدى فى عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م عوضاً عن الخصة الموحدية التى قد تداعت ، وكان بناء تلك الخصة تسجيلاً لانتصاره فى موقعة وادى المخزن[١] ، وقد جلب المنصور رخام تلك الخصة عبر فرنسا[٢] ويغطى قبة الساقية من الداخل والخارج مجموعة كبيرة من الأشعار المتضمنة أبيات تفيد الوظيفة وتاريخ الإنشاء (انظر اللوحة رقم ١٠ ، ١١) ففى داخل القبة نقشت أبيات من الشعر مكونة من ثمانية سطور يحتوى كل منها على بيت شعر مكون من شطرين وتقرأ على النحو التالى :

كهف الملوك أبو العباس أنشأنى ... بحر المكارم من معدن عدنان
من جاء يشكو الظمأ يوماً وقبلنى ... أغناه ما قد همى من صوب اجفانى
لا تنكرن وجود الدمع من فرحى ... فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئاً من السلسال لا حرج ... فعين دمع جرى من فيض خلجانى
فخر السلاطين من أبناء فاطمة ... اشاع صيتى إلى أطراف عمان
وقد جرت مقلتى تحكى سحائبها ... كفى الخليفة من أبناء زيدان
لازال للدين والدنيا يسوسهما ... ما هيجت عاشقا ورق بأفنان
إذ شادنى زمن التاريخ وافقه ... للدين والأجر بحر الجوا اجرانى[٣]

يقرأ على القبة التى تغطى سقف السقاية الغربية من الداخل ما نصه :

يا واقفا سره صنعى وتصويرى ... حسن سنای بديع غير منكور
يا من ترشف عذب الماء من ظمأ ... عليك اقسمت بالاحزاب والنور
تدعو بالنصر من لاحت محاسنه ... على الدنا كهلال فوق ديجور
خليفة الله من فى النبوة قد ... علت به همة بالنصر مغمور

(١) عن موقعة وادى المخزن وتعرف باسم وادى المخازن فى ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م انظر حركات : العصر السعدى ، ص ٦٩ .

(٢) التازى : القرويين ، جـ ٢ ، ص ص ٣٣٧-٣٣٨ .

(٣) القاضى : جذوه ، ص ٥٢ .

هـو الامـام الـذى قـد حـاز مـنـزلـه عـنـد الاله بـدار الخـلـد والحـور
أبـو مـحـمـد عـبـد الله أفـضـل مـن حـلاه ربـى بـسـجف الحـسـن والـنـور
مـن لا يـزال وعـين الله تـكـلـؤه مـن شـر مـا يـتقـى وكـل مـحـذور[1]

وعلـى القبـة من الخارج نقـشت أبيـات من شعـر أبى العـباس الفرديـسى المتـوفى ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م[2] والأبيـات مكونـة من أربعـة سطور كل سـطر مكـون من شطـرين متقابلين، ولـيست لمضامين تلك الأبيات أى أهمـية لكونها لم تحمل تاريـخاً ، وتفيد إلى إشارة جديـدة ، ولكنهـا تؤكد علـى اقتباس الـفنان المغـربى للأسلـوب الفنى الأنـدلسى الغرناطى والذى يعتـمد ضمن تشكيلاته الزخرفية على الأشـعار ، ومن الجدير بالذكر أن القبة تتضمن نماذج أخرى من الأشعار على واجهاتها من الخارج يرجع بعضها إلى إضافات مرينية .

أما القبة التى تغطى السقاية الغربية والمؤرخة ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م فقد شغلها الفنان من الداخل بنماذج متعددة مـن الاشعار المتضمنة وظيفة السقاية وهى تتـكون من ثمانية أبيات من الشعر نظم كل بيت منها من شطرين متقابلين وتبدأ القراءة من الركن الشرقى بما نصه :

فـاخـلـف لـه دعـوة تمـحـو اسـاءتـه بـجـاه ام الـقـرى والـبـيـت والـطـور

ويحيط بكل عقد من عقود واجهات السقاية ثمان دوائر نقش عليها عبارات دينية تقرأ «بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله»[3] .

ويتضمن النـص الخاص بالأبيات الشعرية حقـيقة وظيفة السقاية والـتى أشارت إليها الأبيات بما نصه «يا من ترشف عذب الماء من ظمـأ» أى أن السقاية كانت قد أعدت لسقاية الماء العذب للمصلين ، وهى نفس الـوظيفة التى تؤديها المزملة[4] داخل المساجد والمدارس

(١) التازى : القرويين ، جـ ٢ ، ص ص ٣٣٦-٣٣٧ .
(٢) التازى : القرويين ، جـ ٢ ، ص ٣٣٧ .
(٣) لعبت الكتابات العربية دوراً رئيسياً فى العمائر الإسلامية سواء كانت الدينية أو المدنية ، حيث اتفقت مضامينها مع الوظيفة التى تقوم بها ، وكـانت عمارة الاسبلة فى مصر والسقايات فى المغرب واحدة من تلك العمائر التى تطابقت مضامين نقوشها الكتابية مع وظيفتها .
(٤) نجيب : المزملة كمورد لمياه الشرب ، مقالة منشورة بمجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثانى لسنة ٧٨ ، ص ١٥١ - ١٥٦ .

المملوكية فى مصر أما القبة من الخارج فقد تضمنت أيضاً نقوشاً كتابية مكتوبة بالخط النسخ المغربى تتضمن أبياتا من الشعر على غرار أمثلتها فى سقايات بهو السباع بقصر الحمراء بغرناطة .

وقد وزعت تلك الأبيات ابتداءاً من الركن الشمالى إلى الشرقى إلى الجنوبى ، وهى تشير إلى تفوق قبة الحفيد على قبة الجد ، ونص الأبيات كتب على شطرين متقابلين تقرأ.

بدائعى نسخت لما تلت سورا ... من الجمال الذى ابدى بها صورا
ايات تلك التى قالت مصرحة ... حسن سنا منظرى يستوقف النظرا
فحقها ان تحط الرأس صاغرة ... ما لكوثر العذب من ماء المعين جرى
ولى فخار عليها بانتسابى إلى ... عبد اللاله الذى كل الورى بصرا
ابن الامام الرضى المأمون من عظمت ... به قريش وسادت بالعلا مضرا
فى عام زهو بعيد الالف ابدعنى ... لهجر من دنا من ربه وسرى
لا ينثنى راشف ثغرى من ظمأ ... الا ويحمد منى الورد والصدرا
من رام قربا بغرض أو بنافلة ... يجد معينى معينا للطهور جرى[1]

وفى ضوء الأبيات السابقة نستخرج عدة حقائق أهمها تاريخ الفراغ من إنشاء السقاية والتى أشير إليها فى النص بحساب الجمل فى عام «زهو» وهى تساوى ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م أى فى عهد السلطان زيدان بن الملك المنصور السعدى ، والحقيقة الثانية هى وظيفة الوضوء التى أشير إليها حسب أبيات الشعر بما نصه .

من رام قربا بفرض أو بنافله ... يجد معينى معيناً للطهور جرى

وهى دلالة واضحة على أن السقايات المغربية كانت معدة لسقاية الماء العذب وأيضاً للوضوء ، كذلك وجدت نقوش كتابية على واجهة الخصة تتضمن أبيات من الشعر أيضاً تؤكد على وظيفة سقاية الماء العذب التى كانت تقوم بها تلك السقايات

(١) التازى : القرويين ، جـ٢ ، ص ص ٣٨-٣٩ .

حيث جاءت الأبيات من سبعة سطور كل سطر يجمع بين شطرين متقابلين تقرأ على النحو التالى :

سرح جفونك كى ترى ... منى جمالاً ازهرا
أنا روض حسن فائق ... بالانس اضحى مثمرا
ضرب على قبة ... كالشمس تزهو منظرا
فى الجامع القروى قد ... حزت المقام الأكبرا
انظر شمائل خصتى ... مثل النسيم إذا سرى
ان جئتها متعطشا ... فاشرب هنيئاً كوثرا
والقط لالى مائها ... بالثغر منك إذا جرى[1]

ويتخلل تلك الأبيات عبارة «رحم الله عبداً صنع شيئاً فاتقنه» . وفى ضوء ما سبق يمكن أن نستخلص مميزات عمارة السقايات المغربية فى العصر السعدى فى النقاط التالية :

أولاً : من حيث التكوين المعمارى شيدت السقايات السعدية من نمطين رئيسيين الأول هو النموذج التقليدى الذى يتكون من دخلة عميقة يتوجها صدرية خشبية ويظللها من أعلى رفرف خشبى محمول على كوابيل ويغطيها سقف خشبى من الداخل اما من الخارج فيغطيها سقف مكون من حطات القرميد .

ومن أمثلة هذا النوع جميع السقايات السعدية بمراكش انظر اللوحات أرقام ٧ ، ٨ ، ٩ .

أما النمط الثانى وهو نمط السقايات المغربية الأندلسية ، حيث شيد هذا النوع من السقايات على غرار السقايات الأندلسية فى قصر الحمراء بغرناطة وهذا النوع أو النمط يعد تطوراً كبيراً فى عمارة السقاية المغربية ، حيث أصبح لها ثلاث واجهات وأصبح حوض التسبيل (أى الحصة) كما يطلق عليها فى المغرب تخطيطها دائرى الشكل وليس مستطيلاً كما هو فى النموذج التقليدى ، وعن نماذج السقايات المتطورة انظر سقايات جامع القرويين اللوحات أرقام ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(١) التازى : القرويين ، جـ ٢ ، ص ٣٨-٤٠ .

ثانياً : بالنسبة للتكوينات الزخرفية نجد أن السقايات السعدية فى مراكش وفاس قد اعتمدت على محاكاة الأسلوب الأندلسى الغرناطى وبخاصة فى استخدام الأبيات الشعرية ممزوجا مع عناصر زخرفية هندسية ونباتية .

ثالثاً : استخدم فى بناء السقايات السعدية الآجر فى بناء الجدران الداخلية والخارجية والأخشاب فى التسقيف من الداخل وتتويجات واجهة السقاية وأيضاً فى الرفرف والكوابيل، كما استخدم الجص فى تكسية واجهات السقايات من الداخل والخارج .

واستخدم الزليج فى تكسيات الصدرية التى تعلو حوض السقاية واستخدم الرخام فى بناء حوض السقاية .

رابعاً : استخدمت الكتابات الكوفية والنسخية المتضمنة نصوص تأسيسية أو عبارات دينية أو اشعار فى جميع السقايات السعدية ، وقد أمكن تأريخ بعض السقايات فى أسلوب تنفيذ الخطوط ومضامين الكتابة ، وتعد سقايات القرويين هى النموذج الفريد الذى يوضح عبقرية الفنان المغربى فى العصر السعدى .

خامساً : اعتمدت السقايات السعدية على مصادر من المياه الجوفية الطبيعية فى تزويد السقايات بجامع القرويين بينما اعتمد على الصهريج فى تزويد السقايات بمراكش .

سادساً : استخدم المعمارى السعدى نماذج من العقود الحدوية والتيجان ذات الطابع المحلى والأعمدة الرخامية والكوابيل كركائز للعقود الحاملة للسقف .

سابعاً : بنيت معظم السقايات السعدية داخل مجمعات دينية تضم مسجد ومدرسة وخلاوى وميضأة وحماماً وهذا النوع من المجمعات هو تقليداً للمجمعات الدينية المملوكية الجركسية فى مصر ومن أمثلتها المغربية جامع المواسين بمراكش وجامع القرويين بفاس . انظر اللوحات أرقام ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ .

السقايات المغربية فى عصر العلويين :

اهتم العلويون بالبناء اهتماماً كبيراً ، وبخاصة فى عهد مولاى رشيد ١٠٧٥-١٠٨٣هـ/ ١٦٦٤-١٦٧٢م ومولاى إسماعيل ١٠٨٣-١١٤٠هـ/ ١٦٧٢-١٧٢٧م ، ومولاى محمد الثالث ١١٧١-١٢٠٥هـ/ ١٧٥٧-١٧٩٠م ، وقد اكتسبت عصور هؤلاء الحكام الثلاثة طابعاً تعميرياً[١] ، حيث اهتم العلويون بإعادة تعمير المدن القديمة ، وشيدوا كثيراً من العمائر العسكرية والمدنية والدينية ، وقد اتخذ العلويون من مدينة مكناس عاصمة لملكهم ، وعلى الرغم من هذا فقد نالت المدن الأخرى اهتمامهم وشيدوا بها معظم عمائرهم وبخاصة فى فاس ومراكش والرباط[٢] .

وقد تميز الفن المغربى فى عهد العلويين بعدة خصائص معمارية وفنية ، منها الاعتماد على مادة الحجر فى بناء عمائرهم وبخاصة العسكرية منها كأسوار وبوابات المدن والقلاع والقصبات[٣] ، كذلك تميز الأسلوب الفنى فى عصرهم بالطابع المورسكى ، والبرتغالى ، وبخاصة من ناحية هندسة المدن[٤] ، كذلك انتشر التأثير الأندلسى فى عمائرهم[٥] ويتضح ذلك جلياً فى عمائر مدينة مكناس بعد أن أولاها العلويون أهمية خاصة وبخاصة بعد أن شيد مولاى إسماعيل مدينته الجديدة بها ، والتى عمرها بأعداد كبيرة من المساجد والمدارس والزوايا والقصور الفخمة ، وجلب إليها الماء من أماكن بعيدة وشيد بها الصهاريج الضخمة من أشهرها صهريج السوانى[٦] .

أما السقايات فقد شيدت بأعداد كثيرة ، كما أعيد بناء وترميم السقايات القديمة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر .

سقاية القيسارية الواقعة بالقرب من الجامع الأعظم ، والتى يعود إنشائها للعصر الموحدى[٧] ، وأعيد ترميمها فى العصر العلوى فى القرن التاسع عشر ، وسقاية الهديم ،

(١) حركات : المغرب عبر التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥١٨ .

(٢) حركات : المغرب ، جـ ٣ ، ص ص ٥١٨-٥١٩ .

(٣) Marcais : Op. Cit., p. 756.

(٤) Ibid. p. 757.

(٥) Deverdun : Marrakech desorigines, 1912, Edit techniques, Rabat 1959, p. 479.

(٦) حركات : المغرب ، جـ ٣ ، ص ص ٥٢٠ - ٥٢١ .

(٧) المنوفى : مدينة مكناس ، ص ٣٠ .

وسقاية مدرسة العدول ، وسقاية التوتة ، وسقاية سيدى قدور العلمى ، وسقاية عائشة العدوية ، وسقاية القرسطون ، وسقاية جامع الزيتونة ، وسقاية سيدى عبد الله ، وسقاية سيدى مبارك ، وسقاية النجارين ، وسقاية العودة ، وسقاية القرمونى ، وسقاية القنوط ، وسقاية سعدون ، وسقاية الصباغين ، وسقاية مولاى أحمد الشبلى ، وسقاية مولاى إسماعيل ، وسقاية الرايس ، وسقاية البركة[١] .

وفى مدينة فاس أنشأ العلويون كثيراً من السقايات اذكر منها سقاية مدرسة الشراطين[٢] ، وسقاية فندق النجارين ، وسقايات جامع الأندلسيين[٣] .

وفى مدينة الرباط شيدوا سقاية سوق الاسكافيين .

وفى مدينة مراكش أنشأ العلويون سقاية شارع البهية ، وسقاية زاوية درب الطويل ، وسقاية سيدى العباس ، وسقاية القيسارية[٤] .

وسوف نقصر دراستنا للسقايات العلوية على بعض النماذج التى توضح الخصائص المعمارية والفنية لعمارة سقايات العلويين بمدينة فاس .

أولاً : نماذج للسقايات العلوية بمدينة فاس :

سقايات مدرسة الشراطين :

تحتوى مدرسة الشراطين على سقايتين أحدهما ملاصقة للمدرسة من الجانب الشرقى (انظر اللوحة رقم ١٤) ، وهناك سقاية أخرى تقع داخل المدرسة تشغل جزء من مساحة الدركاه المؤدية إلى مراحيض المدرسة (انظر اللوحة رقم ١٥) والساقية الخارجية لمدرسة الشراطين تقوم بوظيفة سقاية الماء العذب للمارة وعابرى السبيل ، بينما تقوم السقاية الداخلية بنفس وظيفة المزملة فى عمائر المدارس المملوكية وهى تسبيل الماء العذب الصالح

(١) مدينة مكناس تاريخ ومعالم ، منشورات وداوية رؤساء المصالح ، مارس ١٩٨٨م ، ص ٥٨ .

(٢) بنيت مدرسة الشراطين والسقاية الخارجية والسقاية الداخلية فى عام ١٠٨١هـ/١٦٦٩م على يد مولانا الرشيد بن محمد بن على أول سلطان من دولة الأشراف الفلاليه .
الكحلاوى : المدارس ، ص ٧٩ .
وانظر لوتورنو : فاس ، ص ٤٤ .

(٣) Terrasse (H.) : Lá Mosquee des Andalous A. fes, Paris, pp. 11-18.

(٤) Deverdun : Inscriptions, pp. 192-198.

للشرب إلى الطلاب القاطنين فى خلاوى المدرسة والمصلين والمترددين عليها ، والمدرسة والسقايتان الخارجية والداخلية من إنشاء مولاى رشيد الدين فى عهام ١٠٨١هـ/ ١٦٦٩م[١] ، ويتكون التخطيط المعمارى للسقاية الخارجية من دخلة عميقة اتساعها ١,٨٠م وإرتفاعها ٢,٧٠ م وعمقها ١,٢٦م بصدرها دخلة مستطيلة شغل صدرها بعقد حدوى من النوع المدبب كسيت واجهته ببلاطات الزليج (انظر اللوحة رقم ١٤ ، ١٥) ، اما حوض السقاية فهو يشغل الجزء السفلى بالكامل إذ يبلغ عرضه ١,٨٠ م وإرتفاعه ٤٥ سم وعرضه ١,٢٦م ، وقد كسى الفنان واجهة صدر الحوض ببلاطات الزليج (انظر اللوحة رقم ١٤ ، ١٥) ، أما مخرج الماء فينطلق من خلال فتحتين بارزتين دائرتين قطر كل منها ٣سم وهما يقعان فى وسط الصدرية المعقودة من أسفل أرجل العقد (انظر اللوحة رقم ١٤ ، ١٥) ، ويتوج دخلة السقاية من أعلى سقف خشبى مجدد يزيد امتداده عن اتساع عرض دخلة السقاية (انظر اللوحة رقم ١٤ ، ١٥) .

وتمتاز سقاية الشراطين بأنها تضم شريط كتابى يقع بأعلى عقد صدرية السقاية وهو منقوش بالخط النسخ المغربى باللون الأسود على لوح رخامى أبيض ، وقد نفذت بالكتابات بطريقة الحفر ، والنقش الكتابى يتضمن عبارات دعائية يصعب قراءة كامل نصوصها نتيجة طمس بعض الحروف (انظر اللوحة رقم ١٤) .

أما السقاية الداخلية فوصفها المعمارى لا يختلف عن سقاية المدرسة الخارجية سوى انها أكثر اتساعاً ، وأنها مشيدة على سطح الجدران بدون دخلة ، وزخرفت بنيقات عقودها بزخارف جصية حديثة ، وهى خالية من النقوش الكتابية ، ومن الجديد بالذكر ان مصدر تزويدها متصل مع السقاية الخارجية عن طريق قصاب ممتدة فى أرضية المدرسة (انظر اللوحة رقم ١٥) .

سقاية فندق النجارين :

تقع هذه السقاية بالقرب من فندق النجارين بمدينة فاس القديمة بجوار جامع القرويين، ولا يعرف بالضبط فى أى وقت شيدت هذه السقاية فى العصر العلوى ، ولكن من المؤكد نسبتها إلى العصر العلوى من خلال أسلوب عمارتها وأشكال بلاطات الزليج التى تميزت بها عمائر العصر العلوى ، كذلك اشتق اسم السقاية من اسم فندق النجارين

(١) لوتورنو : فاس ، ص ٤٤ .

(أى الوكالة) العلوى والذى يرجع تاريخه إلى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى . (انظر اللوحة رقم ١٦ أ -ب) .

والتخطيط المعمارى لسقاية النجارين يتبع التخطيط التقليدى للسقايات الذى يتكون من جزءين العلوى يمثل الصدرية المعقودة والتى تضم فتحات المياه والجزء السفلى يضم الحوض المستطيل وأعلى هذا التكوين يوجد غطاء من كتلة خشبية بارزة ترتكز على عمودين من الجانبين (انظر اللوحة رقم ١٦ أ ب ، والشكل رقم ٩) .

ومن الجدير بالذكر أن موقع سقاية النجارين يشغل رأس ناصية تشرف على ثلاثة إتجاهات تذكرنا إلى حد كبير بموقع سبيل عبد الرحمن كتخدا بشارع النحاسين بمدينة القاهرة ، وعلى الرغم من هذا فلم يؤثر الموقع على تخطيط السقاية وشيدت بواجهة واحدة وفقاً للتخطيط السائد لعمارة السقاية المغربية (انظر اللوحة رقم ١٦ والشكل رقم ٩ ، ١٠) .

السقايات العلوية لجامع الاندلسيين :

الحقت بجامع الأندلسيين بمدينة فاس سقايتان تقعان على جانبى المدخل الكبير[١] وتشرف كل منهما على صحن الجامع من خلال فتحة معقودة ترتكز على عمودين رخاميين ، وتتميز السقاية الواقعة على يمين الباب الكبير بأنها مازالت تحتفظ بمعظم مكوناتها المعمارية وتفاصيلها الزخرفية ، بينما تعرضت الأخرى لأعمال ترميم كثيرة أخرجتها من أصولها الأولى[٢] .

اما عن السقاية العلوية الباقية فتكوينها المعمارى يتكون من دخلة عميقة اتساعها ٤,١٠ م تقريباً وعمقها ٣,٧٠ م تقريباً (انظر اللوحة رقم ١٧ - أ - ب) ويتقدم فتحة دخلة السقاية من جهة الصحن واجهة مكونة من ثلاث فتحات معقودة الوسطى أكثرها اتساعاً وارتفاعاً وترتكز عقود الفتحات الثلاث على أربعة أعمدة صغيرة رخامية بهم تيجان وقواعد إسلامية (انظر اللوحة رقم ١٧ - أ) ، وقد ميز المعمارى فتحة العقد الأوسط من الناحيتين المعمارية والزخرفية حيث جعله أكثر ارتفاعاً مما جعل فتحة عقده من النوع المدبب

(١) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٩٣ .

(٢) الكحلاوى : عمائر الموحدين الدينية في المغرب ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ٣٥٥ .

ذو حافة مفصصة يتدلى منها مقرنصات صنعت من الخشب (انظر اللوحة رقم ١٧) أما الجانب الزخرفى فقد لبس الفنان صدرية العقد وباطنه بالخشب المزخرف بطريقة الحفر ، وقد اكسب الفنان السقاية طابعاً جميلاً عندما توجها من أعلى برفرف خشبى محمول على كوابيل خشبية امتدت بامتداد فتحة السقاية ، بحيث جعلها المعمارى تتوج فتحات العقود الثلاثة التى تكون مدخل السقاية (انظر اللوحة رقم ١٧) ويعلو السقاية سقف خشبى مائل غطى من أعلى بحطات قرميدية . (انظر اللوحة رقم ١٧ - أ) وتضم السقاية نقشاً كتابياً نحت فى الخشب على ازار يمتد أسفل أرجل الكوابيل الحاملة له يحتوى على نص تأسيس عبارة عن بيت من الشعر يسجل تاريخ واسم المنشىء مكتوب بالخسط النسخ المغربى[١] تقرأ «مولاى إسماعيل البسنى البها .

فسحبت ذيلى فوق كل نفيسى زهوى
ببيت الله حسبى مفخرا
إذ صرت أحبى فيه حبو عروس ، فرفعت
فوق السلسبيل سرادقاً فى عام
يحمل شاهد تأسيس[٢]

ووفقاً للنص السابق فقد أنشئت هذه السقاية فى عهد مولاى إسماعيل بن الشريف الذى تولى الحكم فى الفترة من ١٠٨٣-١١٣٩هـ/ ١٦٧٢-١٧٢٧م ، وقد أرخ الفنان بعبارة «يجمل شاهد» وهى على حساب الجمل المغربى تساوى ١٠٩٣هـ/ ١٦٨١م[٣] ويتوسط صدر السقاية من الداخل صدرية معقودة بعقد مدبب من النوع الحدوى ، وقد كسى الفنان الصدرية بالفسيفساء الخزفية ، وتحتوى الصدرية من أسفل على ثلاثة بزابيز يخرج منها الماء ليصب فى حوض مستطيل أبعاده ٣م امتداد فى ٥٥ سم إرتفاع ٤٥ سم عرض ، وقد فتحت بأرضية الحوض فتحة دائرية لتصريف الماء المنهمر ، وقد كسى كامل الحوض من الداخل والخارج بالرخام (انظر اللوحة رقم ١٨) .

أما سقاية سوق الاسكافيين بمدينة الرباط القديمة فهى ترجع إلى أواخر العصر العلوى وقد بنيت على واجهة الحائط المجاور لموقع المسجد الجامع بالمدينة من الجانب الشرقى .

(١) الحلاوى : عمائر الموحدين ، ص ٣٥٦ .
(٢) Terrasse : Op. Cit. p. 16.
(٣) Ibid. p. 11.

والسقاية خضعت على شكل مسقط أفقى مستطيل ، أما تكوينها المعمارى فهو يتكون من جزءين العلوى عبارة عن صدريه قسمت بواسطة حليات معمارية إلى بائكة ثلاثية مكونة من ثلاثة عقود ميز المعمارى العقد الأوسط بأن جعله أكثر ارتفاعاً وإتساعاً ، وترتكز أرجل تلك العقود على أعمدة صغيرة ، وقد كسيت جميع واجهات صدرية السقاية والعقود ببلاطات الزليج ، كذلك زخرفت حافة العقود بتفصيصات زخرفية (انظر اللوحة رقم ١٩) .

وعلى الرغم من اتساع عرض السقاية الذى يصل إلى ٣,٦٠ م إلا أنها لم تحتوى إلا على فتحة واحدة لخروج المياه تتوسط العقد الأوسط (انظر اللوحة رقم ١٩) .

أما حوض السقاية فقد قسم إلى ثلاثة أقسام بنفس التقسيم المعمارى والزخرفى لصدرية السقاية (انظر اللوحة رقم ١٩) ، وقد كسى المعمارى واجهات الحوض من الداخل والخارج ببلاطات الزليج .

ثانياً : السقايات العلوية بمدينة مراكش :

تحتوى مدينة مراكش على العديد من السقايات العلوية أقدمها سقاية شارع البهية[١] ، وهى مؤرخة بعام ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م ويتكون تخطيط السقاية من دخلة عميقة اتساعها ٣,٢٠ م وعمقها ٢,٨٠ م وإرتفاعها ٤,٣٠ م توجت من أعلى برفرف خشبى بارز محمول على كوابيل خشبية ، أما صدرية السقاية من الداخل، فقد كسيت من أعلى ببلاطات جصية مزخرفة ، اما من أسفل فتضم حوض رخامى صغير ، كما زود جانبى السقاية بفتحات بارزة تتدفق منها المياه لسقى العامة وملئ القرب والأوانى ، وهى بمثابة سقاية مركزية لكثرة ما بها من مخارج للمياه (انظر اللوحة رقم ٢٠ ، ٢١) ، وتحتوى واجهة السقاية من أعلى على نقش كتابى مقاساته ٣م × ٢٠سم من الخشب نقش عليه بالخط الكوفى نص يتضمن الوظيفة وتاريخ الإنشاء ، وقد نفذ بطريقة الحفر ، وهو يقرأ من اليمين بما نصه «بهندسة املا حكيم رسومها عام ١٢٥٤ سطوراً ترى للرامقين ثناء»[٢] .

وهناك نقش كتابى آخر عبارة عن خمس أبيات من الشعر نقشت على افريز داخل السقاية من اعلى منقوش بالخط الكوفى يقرأ .

(١) Deverdun : Op. Cit., p. 192.

(٢) Ibid. p. 192.

انى نزلت بباب زاوية لكم ... قد اطلعت قمرا من الازرار
تسبى بزى كمالها وجمالها ... ما مثلها قد حجبت بخمار
رامت سعادتها بطول بقائكم ... غيثا يسح بديمة الأمطار
صارت ينابع مائه مفجرة ... من الرحيق تروى عابر السبيل
بحول الله انتهى وقوته

ويتوسط تلك الأبيات عبارة نقشت بالخط الكوفى تقرأ «بركة محمد»[1] . ومن خلال نص الأبيات الشعرية نجد أنها تضمنت بين سطورها بعض الكلمات التى تؤكد على وظيفة السقاية ووفرة الماء الجارى بها .

سقايات سيدى العباس[2] :

تقع هذه السقاية بمدينة مراكش وهى تعد من أضخم السقايات العلوية واجملها ويوضح تخطيطها المعمارى وأسلوبها الزخرفى تأثره بالأساليب الفنية الأندلسية الموروثة عن العمارة السعدية المرينية (انظر اللوحة رقم ٢٢) .

ويتكون التخطيط المعمارى للسقاية من واجهة ضخمة بارزة عن الجدار بنحو ٦٠ سم وارتفاعها ٧,٢٠ م وعرضها ٥,٤٠م يتوجها من أعلى رفرف خشبى بارز محمول من الجانبين على حرمدانات ترتكز بدورها على عضادتين بارزيتن (انظر اللوحة رقم ٢٢) ، أما باطن الرفرف الخشبى فقد امتد بعرض الواجهة ، وقد ارتكز كامل امتداده على صف من الكوابيل الخشبية (انظر اللوحة رقم ٢٢)، اما صدر واجهة السقاية فقد فتح بها من أسفل فتحة ضخمة اتساعها ٣,٨٠ م وارتفاعها ٥,٢٥م توجت بعقد مدبب ذو حافة وباطن مقرنص (انظر اللوحة رقم ٢٢) ، أما بنيقات عقد المدخل والإطارات الهندسية التى تؤطرها فقد ماثل بها المعمارى والفنان واجهات المحاريب الأندلسية القرطبية ، وقد شكل الفنان كامل واجهات السقاية الخارجية بشتى أنواع الفنون حيث بدأها من أسفل بتكسيات من بلاطات الزليج ، ثم تكسيات من الجص ثم من أعلى تلبيسات خشبية ، ثم أنهاها

(١) Ibid. p. 193.
(٢) Ibid. p. 194.

بسقف جمالونى من حطات القرميد المزجج باللون الأخضر (انظر اللون رقم ٢٢) ، هذا إلى جانب مجموعة النقوش الزخرفية التى تعاقبت منها الأشرطة الهندسية مع النباتية مع النقوش الكتابية بأسلوب زخرفى نراه يذكرنا فى جميع تكويناته الفنية بالأساليب الأندلسية الغرناطية .

أما السقاية من الداخل فقد أوجدها المعمارى فى دخلة عميقة تصل إلى ٣,٦٠ م تقريباً كسيت جميع جدرانها من أسفل ومن أعلى ببلاطات الزليج ، وبصدر الدخلة من أسفل يوجد الحوض الرخامى الذى يستقبل الماء المنهمر من مجموعة الفتحات الواقعة بصدر السقاية من الداخل (انظر اللوحة رقم ٢٢) ، من أجمل ما تضمه تلك السقاية مجموعة النقوش الكتابية التى نقشت بالخط الكوفى على افريز امتداده ٣,٢٥م وعرضه ٢٥سم يؤطر عقد فتحة مدخل إلى السقاية من الخارج ، وقد نفذت الكتابة بالحفر ، وهى تتضمن أبيات من الشعر تؤكد على وظيفة السقاية إلى جانب تاريخ الإنشاء والنص يقرأ بالرغم من تآكل بعض حروفه على النحو التالى « **ليس بالماء قرت به العين ثمن لا باس بالغالى إذا قيل حسن عام ١٢٨٧** ».

احسن ما صرف فيه المقال الحمد له على كل حال[1] :

كذلك تضم واجهة السقاية من أعلى خرطوشين مستطيلين الشكل منفصلين يتضمن كل منهما نقوشاً كتابية منقوشه بالخط الكوفى يصعب الآن قراءة عباراتها نظراً لطمس حروف الكلمات ، وكعادة زخرفة السقايات وفقاً للأسلوب الفنى الغرناطى نجد فى داخل السقاية أبيات من الشعر تتضمن دعاء لأبى العباس وتاريخ الفراغ من إنشاء السقاية والكتابة منقوشة بطريقة الحفر بالخط الكوفى وهى تقرأ :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى لشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه فى قول كن ... آمن فان الخير عندك اجمع

(١) جرت عادة السلاطين أن تقدم لهم كشوف حساب توضح لهم بيان ما أنفق على إتمام عمائرهم وما صرف فيها من نفقات كبيرة ، وكان السلاطين يردون على هذا بعبارات مأثورة منها ما ذكره أبو عنان المرينى عند بناء المدرسة البوعنانية بفاس . الوزان : وصف افريقيا ، جـ ١ ، ص ٨٧٩ .

حـاشـا لمجـدك ان يـقـنـط عـاصـيـا الـفـضـل اجـزل والمـواهـب أوسـع
بـشـرى فـقـد انجز الاقـبـال مـا وعـد وكـوكب المجـد فـى أفق الـعـلا صعـد
اكـرم أبـا الـعـباس ضـيـفـك واجـبـه بـجمـيع مـا يرجـوه مـنك ويـطلـب[1]

ويذكر ديفردان ان الأبيات الشعرية اقتبست من أشعار الإمام السهيل[2] .

سقاية زاوية درب الطويل

ومن السقايات العلوية أيضاً فى مدينة مراكش سقاية زاوية درب الطويل المؤرخة فى عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م[3] .

والتخطيط المعمارى للسقاية يتكون من دخلة عميقة اتساعها ٣,٢٠م وارتفاعها ٤,٨٠ م وعمقها ٢,٤٠ م يتوجها من أعلى رفرف خشبى بارز محمول فى الأركان على حرمدنات ، وفى الوسط على صف من الكوابيل الخشبية وهى قريبة الشبه من سقاية شارع البهية ، اما داخل السقاية فيوجد فى صدر الحائط الصدرية المزججة يخرج من وسطها فتحتان بارزتان تتدفق منهما المياه إلى جوف الحوض المستطيل الذى يمتد بطول الحائط من أسفل.

وتضم هذه السقاية على واجهاتها الخارجية نقش كتابى مكون من ثلاثة سطور نفذ داخل إطار عريض بطريقة الحفر ويقرأ فى بداية السطر الأول .

* الحمد لله رب العالمين .
* بنيت هذه السقاية .
* على يد الناظر مولاى عبد الله اسليطين .
* كملت فى متم ربيع ٢ فى عام ١٣٢٨[4] .

وفى ضوء استعراضنا السابق لنماذج السقايات العلوية الباقية بالمدن المغربية فى مكناس وفاس ومراكش نجد أن مخططات السقايات العلوية لم تأت بجديد بالنسبة للتكوين

(١) Deverdun : Op. Cit., p. 194.
(٢) Ibid. p. 194.
(٣) Ibid. p. 197.
(٤) Ibid. p. 197.

المعمارى أو الزخرفى ، وان أجمل أمثلتها فى مراكش وفاس لا يمكن أن تضاهى السقايات السعدية فى جامع القـرويين ، ومع ذلك كانت السقايات العلوية تعد اسـتمراراً للسقايات السعديـة وان اختلفت فى بعـض نماذجها ، وإذا أردنا التـعرف على الخصائص المـعمارية والزخرفية للسقايـات العلوية يمكن أن نرجع لخصائص ومميزات السقـايات السعدية بعد أن نستنسـى نماذج السقايات السعديـة بجامع القرويين (انظـر اللوحات أرقام ١٠، ١١، ١٢، ١٣) .

دراسة مقارنة بين عمارة السقايات المغربية والاسبلة المملوكية بالقاهرة من خلال التكوين المعمارى لها ومصادر تغذيتهما بالماء الصالح للشرب . وكذلك عملية تسبيل المياه فى كل منهما وبيان اثر الموقع على عماريتهما .

فى الحقيقة أن مقارنة الـتكوين المعمارى للسقايات المغربية مع الاسـبلة المملوكية ، لم يقف عند المسمى فقـط بل اختلف التكوين المعمارى بينهما اختـلافاً جوهرياً واضحاً على الرغم من وحدة الوظيفـة التى تربط بينهما ، حيث خصصت كل مـن السقاية فى المغرب والسبيل فـى المشرق لتسبيل المـاء العذب الصالح للشـرب لعابرى السبيل ، ومـد المنشآت العامة والخاصة ودور السكن ، والأحياء الآهلة بالسكان بكمية المياه التى تحتاج إليها .

وسوف أتناول فى الدراسة المقارنة بين كتلتى السـقاية والسبيل وأقصرها على العناصر الرئيسية التى قد تتشابه أو تختلف بين عمارتيها وهى :

أ - العناصر الرئيسية المكونة لكتلتيها .

ب - مصادر التغذية بالماء الصالح للشرب .

جـ - عملية تسبيل المياه فى كل منهما .

عمارة السقاية المغربية

تتكون الـسقاية المغربـية من ثلاثة عنـاصر رئيسية أولـها القصاب المعـدة لدفع الماء ، وثانيها الحوض الرخامى ، وثالثها الصدريـة ، والعناصر الثلاثة المذكورة تعد الأساس التى شيدت عليه السقايات المغربية مهما تعددت أنماطها واختلفت أشكالها .

أولاً : القصاب الخزفية :

وهى عبـارة عن قصاب مصنوعة مـن الخزف الفاسى الجيد قطـرها حوالى ٦,٨٥سم غيبت بالكامل خلـف الصدرية ولا يظهر منها إلا فتحاتها التى يـخرج منها الماء . وتتعدد

القصاب فى السقاية الواحدة لتصل إلى أربع أو ثلاث أو اثنين والأغلبية تقتصر على واحدة، ولا يرتبط جسم السقاية بعدد القصاب فلدينا نماذج لسقايات صغيرة ولكنها احتوت على ثلاث قصاب للماء ومن أمثلتها سقاية سيدى فرج المرينية بمدينة فاس[1] ، وكذلك سقاية مدرسة الشراطين (انظر اللوحات أرقام ١٤ ، ١٥) .

وهناك سقاية كبيرة الحجم ولكنها لا تحتوى إلا على فتحة واحدة لخروج الماء ، ومن أمثلتها سقاية الاسكافيين العلوية الواقعة بمدينة الرباط القديمة (انظر اللوحة رقم ١٩) ، ومن الجدير بالذكر أن فتحات القصاب تقع على مستوى واحد وعلى إرتفاع واحد من منسوب الحوض وترتبط هذه القصاب بمصدر ماء غالبًا ما يكون ماء جارى من عين طبيعية أو من نهر أو من صهريج كبير .

ثانيا: حوض السقاية :

أما حوض السقاية فهو يعد ثانى عناصر السقاية من حيث الأهمية حيث يستقبل الحوض الماء المنهمر من فتحات القصاب العلوية ويقوم بتصريف الماء الزائد فيه عن طريق فتحات وجدت فى قاعدة الحوض متصلة بقصاب متسعة تصل الماء الزائد إلى أقرب مراحيض مجاورة للسقاية ، وقد صممت معظم أحواض السقايات على هيئة مستطيل اختلفت أبعاده من سقاية إلى أخرى حسب موقعها وحجمها وكذلك حسب عدد قصاب الماء التى تصب فيها (انظر اللوحات رقم ٦ وشكل ١ ، ٢) .

ثالثا: الصدرية :

هى عبارة عن تكسيات من بلاطات الزليج المغربى تحيط بفتحات القصاب التى يخرج منها الماء ووظيفتها حماية حائط السقاية وعزله عن مصدر المياه إلى جانب وظيفتها الجمالية حيث تخفى من ورائها القصاب الخزفية ، وقد تفنن الفنان المغربى فى أشكالها وتزيينها ، حيث جعلها تأخذ تارة شكل عقد حدوة الفرس[2] (انظر اللوحة رقم ١٦) ، وتارة أخرى تأخذ شكل مستطيل يكتنفه من الجانبين عمودان مدمجان (انظر اللوحة رقم٦) ، وتأخذ شكل العقود المتجاورة إذا كان حجم السقاية كبير (انظر اللوحة رقم ١٩ ، انظر شكل ١ ، ٢) .

---

(١) Alfred, Op. Cit., p. 122.

(٢) انتشرت نماذج عقد حدوة الفرس فى المغرب والأندلس وتطورت استخداماته فى العمارة (وفى التشكيلات الزخرفية الفنية) . راجع فكرى : جامع القيروان ، ص ٧٨ .

أما تكسية تلك الصدريات فقد استخدم فيها الفنان بلاطات الزليج والفسيفساء الرخامية[1] .

التكوين المعمارى للسبيل (انظر لوحة رقم ٢٣) :

تتكون عمارة السبيل من عنصرين أساسيين لا تختلف ولا ترتبط باختلاف أو نوع السبيل ، والعنصرين هما :

أ - حجرة التسبيل ، هى عبارة عن الجزء العلوى الذى ركب على سقف كتلة الصهريج وتضم فتحات شبابيك التسبيل مع ملاحظة أن شبابيك التسبيل تفتح فى أقل جدران الواجهة سمكاً وذلك تسهيلاً لعملية غرف الماء من أحواض التسبيل وغالباً ما تتكون حجرة السبيل من مسقط أفقى مربع أو مستطيل الشكل ، يفتح فى واجهاتها الخارجية شبابيك التسبيل والتى يختلف عددها بحسب موقع السبيل من المنشأة[2] ، فهناك السبيل ذو الشباكين وهو الواقع على ناصية البناء ومن أمثلته سبيل خانقاه السلطان الناصر فرج ٨١٣هـ/ ١٤١١م (اللوحة ٢٣) المملوكية وسبيل مدرسة الأمير عبد الغنى الفخرى بمدينة القاهرة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م وسبيل مدرسة السلطان برسباى بالنحاسين ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م ، وهناك سبيل ذو ثلاثة شبابيك وهو على نوعين اما أن يكون مستقلاً مثال سبيل السلطان ، اينال بالقرافة ٨٥٥-٨٦٠هـ/ ١٤٥١-١٤٥٦م أو أن يكون مدمج مثال سبيل السلطان الغورى الملحق بالقبة الضريحية ٩٠٩هـ-٩١٠هـ/ ١٥٠٤-١٥٠٥م .

وهناك سبيل ذو شباك واحد ، وهذا النوع من الأسبله غالباً ما يقع محصوراً بين كتلتين، مثال سبيل مدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨-١٣٦٩م وسبيل مدرسة السويدى حوالى ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م .

---

(١) يعتبر استخدام الزليج فى العمارة المغربية من ضمن التأثيرات الأندلسية على المغرب ، حيث شاع على واجهات العمائر الدينية والمدنية منذ عصر الموحدين والمرينيين .
بالباس : الفن المرابطى ، ص ٥٢ .

(٢) حسنى نويصر : مجموعة سبل السلطان قاتيباى بالقاهرة ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٣٧ .

ومهما اختلف عدد شبابيك التسبيل من سبيل إلى آخر فإن نظام تسبيل المياه فى داخل حجرة السبيل نظام واحد ، حيث تضم حجرة التسبيل من الداخل عدة دخلات أهمها الدخلة التى تحتوى على لوح الشاذروان[١] ، أما الدخلات الأخرى فهى تستغل لتعليق الأدوات المستخدمة فى عملية التسبيل .

ويوجد بأرضية حجرة السبيل جهة الشبابيك من الداخل أحواض من رخام تملأ بواسطة المزملاتى من أجل شرب العامة .

ب - كتلة الصهريج : والصهريج مصطلح وثائقى ومعمارى يجمع على صهاريج بفتح الصاد ويكسر فى حالة الأفراد ، وهو المصنع المبنى تحت الأرض لخزن المياه ، وهو يشغل الجزء الواقع أسفل حجرة السبيل علماً بأن مساحة الصهريج لا تتقيد بمساحة حجرة السبيل ، ويبنى الصهريج من الآجر أو الحجر ويغطى بطبقة من الملاط التى لها قدرة على مقاومة الرطوبة تعرف بالغافقى[٢] ، ويغطى الصهريج سقف مقبب محمول على عقود ترتكز على دعائم شيدت من الحجر [٣] أو الآجر .

ويحتوى الصهريج على ثلاث فتحات رئيسية الفتحة الأولى متصلة بالطريق الرئيسى، وهى مخصصة لتزويد الصهريج بالماء ، والفتحة الثانية تقع فى أرضية حجرة السبيل من أجل رفع الماء من جوف الصهريج إلى أحواض التسبيل ، والفتحة الثالثة تقع فى أحد أضلاع الصهريج الجانبية وهى تؤدى إلى سلم هابط إلى جوف الصهريج من أجل تنظيفه[٤] .

---

(١) وردت كلمة شاذروان كثيراً فى العمائر الإسلامية ولكن أهم استخداماتها كان فى داخل عمارة السبيل ويعرف الشاذروان أيضًا بالسلسبيل ، وكلمة الشاذروان كلمة فارسية تطلق على السلسبيل وهو لوح من الرخام مائل يكتنفه عمودان من الرخام ويسمى صدر سفلى ، ويعلوه صدر علوى من الخشب المقرنص المذهون ويوجد سفل الشاذروان عادة صحن أو فسقيه رخام .
عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار مقالة منشوره ضمن أعمال المؤتمر الثانى للآثار ١٩٥٨ - ص ٢١٧ .

(٢) تمتاز مادة الغافقى بقدرتها على مقاومة الرطوبة الناتجة من المياه وهى تتكون من الجير والحمرة انظر فريد شافعى : العمارة العربية فى عصر الولاة ، طبعة الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ، ١٩٧٠م، ص ٣٩١ . الحسينى : الأسبلة ص ٤٣ .

(٣) عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق ص ٢٧٧ .

(٤) الحسينى : الأسبلة و ص ٤١ .

مقارنة بين مصادر تغذية عمارة السقاية والسبيل بالماء الصالح للشرب :

بالنسبة لعملية تزويد كل من السقاية والسبيل بالماء الصالح للشرب نجد أنهما مختلفين تماماً وذلك لاختلاف نظام تزويد عمارة السقاية بالمياه والتى تعتمد على مصدرين رئيسيين أولهما المصدر الطبيعى أى مجرى نهر أو عين طبيعية وفى هذه الحالة تكون عمارة السقاية داخلة ضمن شبكة توزيع المياه الرئيسية بوصفها عنصر من عناصر شبكة توزيع المياه فى المدينة ، ويعتمد موقع السقاية ويحدد وفق نظام دقيق تحسب فيه إرتفاع مناسيب الأرض ، بحيث يضمن المعمارى وصول المياه إلى السقاية وتدفقها بدون انقطاع ، وفى بعض المناطق المغربية التى يندر فيها وجود مياه جوفية أو مصادر مياه طبيعية نجد المعمارى المغربى قد يلجأ إلى بناء صهاريج ومخازن عملاقة لتجميع المياه من مصادر بعيدة تنقل على قناطر معلقة أو بواسطة قنوات مغيبة فى باطن الأرض ، ومن أشهر أمثلتها قناطر المياه التى شيدها يعقوب المنصور الموحدى من أجل مد مدينة رباط الفتح بالماء ، وقد وصل طول امتداد تلك القناطر حوالى سبع أميال[1] ، وكذلك القناطر التى شيدها أبو الحسن المرينى من أجل جلب الماء إلى مدينة سلا ، وقد ذكر ابن مرزوق بأنه قد انفق عليها أموالاً باهظة لأنها امتدت أميال من أجل توصيلها إلى الجامع الأعظم[2] . ومن أمثلته أيضاً الصهريج العظيم الذى شيده المنصور السعدى من أجل توصيل المياه إلى قصبة مراكش ، وفى العصر العلوى قام مولاى عبد الرحمن على ولاية الصويرة فى عهد عمه مولاى سليمان فى عام ١٢٣٠هـ/ ١٥١٤م ونقل المياه إلى مدينة الصويرة بمد قنوات امتدت أميال بدأت من الوادى خارج المدينة وانتهت إلى المدينة مباشرة فى سقاية عرفت باسم المهندس المراكشى الذى صممها وهو محمد المزوضى[3] .

بينما مصدر الماء بالنسبة لعمارة السبيل فهو مصدر ثابت مرتبط بكمية الماء المخزونة فى جوف الصهريج الواقع فى تخوم الأرض أسفل حجرة التسبيل مباشرة ، ولا ترتبط عملية ملئ الصهريج بمصدر المياه مباشرة ولكن عن طريق مجموعة كبيرة من السقائيين تتناوب عملية ملئ الصهريج بواسطة قرب أعدت من أحجام كبيرة تملأ بالمياه من مجرى النهر فى

(١) الوزان : وصف أفريقيا ، جـ ١ ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن مرزوق : المسند ، ص ٤١٧ .

(٣) حركات : المغرب ، جـ ٣ ، ص ٥٢٣ .

وقت الفيضـان وذلك لضمان جريان الماء ونظافـته ثم تحمل تلك القرب عـلى الابل حتى مواقع الصهاريج ، وقد حددت الوثائق الوقفية كافة هذه العمليات ، ووفرة مصادر الانفاق عليها[1] .

ومن خلال هذا الاستعراض السابق بين تحديد ومقـارنة مصادر تغذية المياه بين السقاية والسبيل نجد أن السقاية استقبلت حركة الماء بشكل مباشر سواء كان من نهر أو عين جوفية أو من صهاريج عن طريق جعل السقاية دائمـاً فى مستوى هابط عن منسوب مصدر الماء ، بينمـا مصدر الماء فى عمارة السـبيل لا يرتبط بشـكل مباشر مع الصهـريج أو مع أحواض التسـبيل ، بل تنقـل المياه إلى الصهـريج ثم تدخل فى مـرحلة أخرى وهى نقـل الماء من الصهريج إلى حجرة التسبيل .

مقارنة عملية حركة تسبيل المياه فى كل من السقاية والسبيل :

السقاية مبنى مفتـوح مهما اختلفت أنماطه المعمارية ، وتعتمد عمـلية تسبيل المياه فى داخل السقاية على تدفـق المياه من الفتحات الواقعة بصدرية السقـاية بدون انقطاع ، وتمتد الأيدى إلى مصدر المياه لملئ الأكواب والأباريق من مـصدر الماء مباشرة وقبل أن يسقط فى حوض السقاية[2] (انظر اللوحة رقم ١٤ ، ١٥ ، ١٦) ، بينما حـركة تسبيل الماء فى عمارة السبيل تختلف تماماً عن مثيلتها فى السقاية ، حيث يعتمد فى حجرة التسبيل على شخص المزملاتى الذى يقوم بعملية رفع الماء من جوف الصـهريج عن طريق فتحة الصهريج الكائنة بأرضية السبـيل بواسطة دلو مربوط بحبـل ينزلق على بكرة من خشـب تساعد فى إنزلاق ورفع الدلو بعد ملئـه بالمياه ، ثم يسكب المزملاتى الماء الصاعد مـن جوف الصهريج على لوح من الرخام ركـب فى وضع مائل (يعرف بالشـاذروان) نقش سطحه بنقـوش هندسية

(١) عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الاثار ، ص ص ٢٧٥-٢٧٧ .

(٢) كانت أحواض الـسقايات فى المغرب تـراقب من قبل المحتـسب فكان يمنع شراب الـدواب فى أماكن السقايات ، وكذلك يمنع الـنساء من أن يغسلن بالقرب من السقايات وذلك للـمحافظة على الماء من ضرر التلوث .

محمد عبد الوهاب خلاف : قرطبة الإسلامية الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، الدار التونسية للنشر، ص ٣٨ .

بارزة تعمل على تصفية الماء وتنظيفه من العوالق ثم ينساب المآء من لوح الشاذروان إلى قصاب مغيبة من الفخار تصل الماء إلى أحواض التسبيل الواقعة خلف فتحات شبابيك السبيل من الداخل ، ويكرر المزملاتى تلك العملية حتى تمتلىء أحواض التسبيل ويعود ويكررها فى حالة فراغ حوض التسبيل من الماء .

ومن خلال هذا التباين فى حركة تسبيل الماء بين السقاية والسبيل يتضح أن حركة السقاية تتم فى السقايات مباشرة وقبل نزول الماء إلى جوف الحوض بينما السقاية فى السبيل تتم من خلال المياه الواقعة فى جوف الحوض .

بالإضافة لما سبق هناك بعض ملامح التشابه والإختلاف بين السقايات المغربية والأسبلة المصرية يمكن إجمالها فيما يلى :

* اتفقت الأسبلة والسقايات من حيث الاهتمام بها من الناحية الفنية ، حيث اعتبرت عمارتيهما من العمائر التى توضح همم الملوك والأمراء ، ولذلك جاءت ابنيتهما آيات فى الفن الزخرفى هنا وهناك .

* الأسبلة تتصل بالعامة والمترددين عليها من خلال فتحات تعرف باسم شبابيك التسبيل، بينما السقايات أبنية مفتوحة بكاملها ، يلج الفرد بداخلها ليستقى الماء .

* تعتمد حركة توزيع المياه فى السبيل على المزملاتى بينما فى السقاية بشكل مباشر .

* أحواض التسبيل فى عمارة السبيل هى مصدر الشرب عن طريق غرف المياه الموجود بداخلها ، بينما حركة تسبيل المياه فى السقايات تقوم على مأخذ المياه المتدفق من فتحات مباشرة ، وقبل أن يسقط الماء فى أحواض السقايات .

* أعدت الأسبلة لتسبيل المياه الصالحة للشرب فقط ، وفى نماذج قليلة متأخرة الحقت بالأسبلة ميضآت للوضوء ، بينما نجد أن كل السقايات المغربية قامت بالوظيفتين معاً سقاية الماء والوضوء .

* اتفقت أيضاً مضامين النقوش الكتابية التى نقشت على السقايات والأسبلة معاً حيث تضمنت كل منهما وأكدت على وظيفة السقاية ، وان كان قد وجدت بعض الآيات القرآنية الدالة على أمر السقاية فى عمارة الأسبلة نجد أن تفسير هذا المعنى وجد فى عمارة السقايات ولكن وفق نظم شعرى .

الخاتمة

اهتم موضوع هذا البحث بعمل دراسة لنماذج السقايات المغربية للتعرف على أنماطها ومكوناتها وزخارفها ونقوشها الكتابية التى تحمل الكثير من المضامين التى تتفق مع وظيفتها، ومن الجدير بالذكر ان السقايات المغربية قد احتفظت بأهميتها إلى اليوم نتيجة كونها مازالت تؤدى وظيفتها فى السقيا .

وعمارة السقايات المغربية خططت ضمن حركة توزعي شبكة المياه وبخاصة فى مدينة فاس ومراكش حيث لا ينقطع الماء عن عمارة السقاية .

والماء يتدفق من مخارج فخارية على هيئة فتحات دائرية ليسقط فى أحواض مستطيلة عميقة يفيض منها الماء إلى مصارف خاصة .

وتختلف أشكال السقايات وزخارفها حسب الموضع الذى تنشأ فيه فالسقايات المركزية للشوارع العامة سواء الرئيسية أو الفرعية تختلف من الناحية المعمارية والفنية من سقايات المساجد والمدارس والدور والقصور ، وكذلك تنوعت عمارة السقاية بحسب اختلاف العصور .

وغالباً ما تغطى السقايات بصدريات خشبية ضخمة مكونة من براطيم ترتكز من الجانبين على حرمدانات أو كوابيل خشبية وكذلك زودت السقايات من أعلى برفرف خشب بارز يحمل غالباً على صف من الكوابيل الخشبية .

أما السقف العلوى للسقاية فهو يأخذ شكلاً هرمياً من الخارج غطى بحطات من القرميد المزجج باللون الأخضر .

كذلك القى البحث الضوء على أنماط السقايات المغربية منذ القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى وحتى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى أى منذ العصر الموحدى والمرينى ومروراً بالعصر السعدى وحتى العصر العلوى .

وقد تخير الباحث نماذج من السقايات الواقعة بمدينتى فاس ومراكش إلى جانب بعض النماذج القليلة التى وجد فيها الباحث إضافة لموضوع البحث مثل سقاية السبع أنابيب المرينية بمكناس ، وسقاية سوق الاسكافيين العلوية بمدينة الرباط .

أما من الناحية الفنية فقد شكلت السقايات من مجموعة متناسقة من العناصر والموضوعات الزخرفية المتلائمة مع بعضها ، واستخدم الفنان المغربى كافة المواد المختلفة لينفذ عليها موضوعاته الزخرفية أو نقوشه الكتابية حيث استخدم الزليج والرخام فى المستوى السفلى من السقاية وذلك من أجل عزل جدران السقاية عن مصدر الماء المباشر وفى نفس الوقت يضفى الطابع الزخرفى من خلال التشكيلات الهندسية والنباتية المنفذة على الزليج المغربى ، أما من أعلى فقد استخدم الأخشاب والجص وأودع عليها ثراء زخرفياً رائعاً تتخلله نقوشاً كتابية نفذت بطريقة الحفر بالخطين الكوفى والنسخ .

وقد ظهر الطابع الأندلسى بشكل واضح فى زخرفة السقايات السعدية والعلوية .

أما عن العناصر المعمارية الأخرى فقد استخدم الآجر فى بناء جدران السقاية واستخدمت الدخلات المعقودة بكثرة والأعمدة المدمجة ونماذج متعددة من العقود الحدوية، وأخيراً فإن عمارة السقايات المغربية تمثل إضافة معمارية هامة بالنسبة للعمائر الخيرية الإسلامية فى العالم الإسلامى بشكل عام والمغرب العربى بشكل خاص .

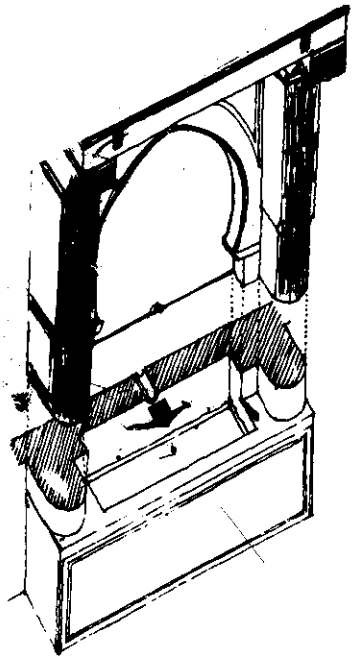

شكل (١)

منظور واجهة للسقاية الموحدية الواقعة بجوار الباب الكبير
لجامع الأندلسيين بفاس (عمل الباحث)

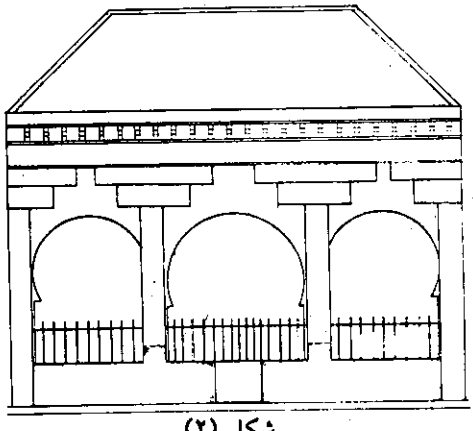

شكل (٢)

واجهة سقاية سبع أنابيب بمكناس (عن مارسية)

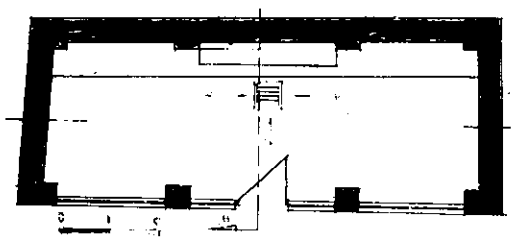

شكل (٣)

مسقط افقى لسقاية سبع أنابيب بمكاس (عن مارسية)

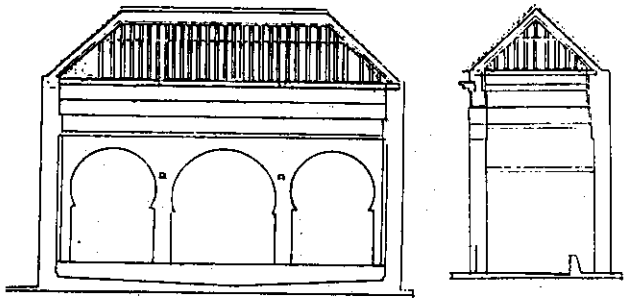

(ب) (أ)

شكل (٤)

(أ) قطاع رأسى جانبى يوضح موقع الحوض والتقسيم الداخلى

(ب) قطاع رأسى يوضح التقسيم الثلاثى للسقاية (عن مارسية)

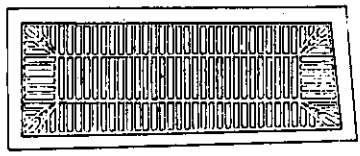

شكل (٥)

السقف الخشبى الذى يغطى سقاية سبع أنابيب (عن مارسية)

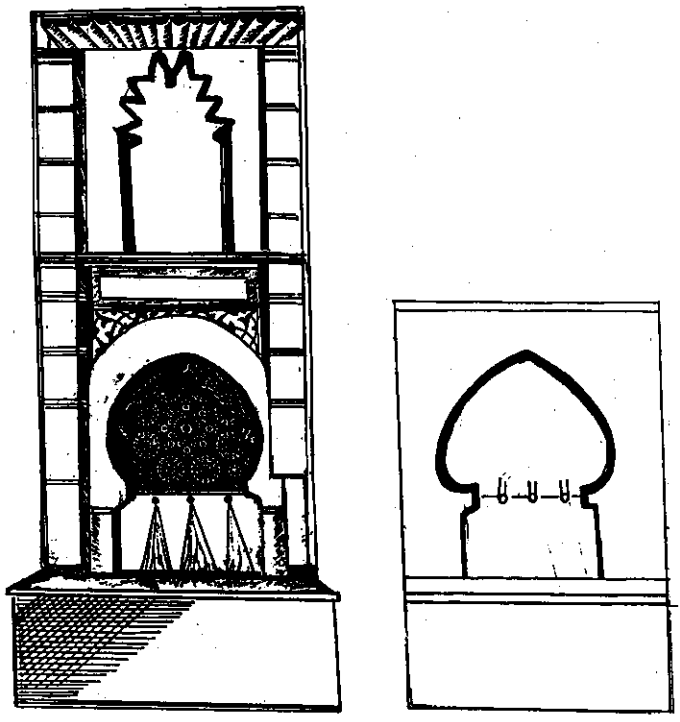

(ب) (أ)

شكل (٦)

سقاية سيدى فرج بفاس

(أ) قطاع فى واجهة السقاية يوضح فتحات قصاب المياه

(ب) منظور واجهة يوضح التفاصيل المعمارية والزخرفية للسقاية

(عن الباحث)

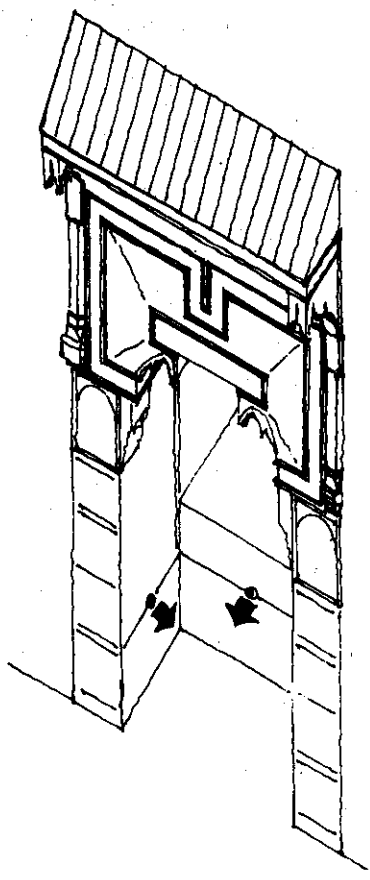

شكل (٧)

واجهة سقاية جامع المواسين توضح مخارج المياه من الداخل (عن الباحث)

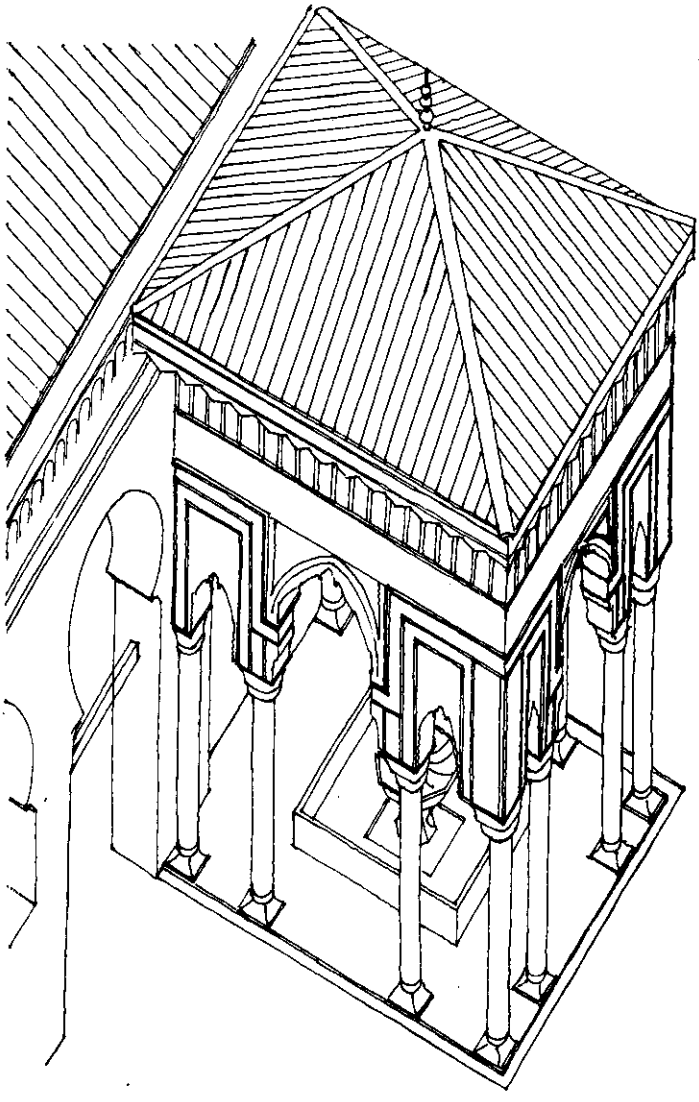

شكل (٨)

منظور واجهة للسقاية الغربية بجامع القرويين (عن الباحث)

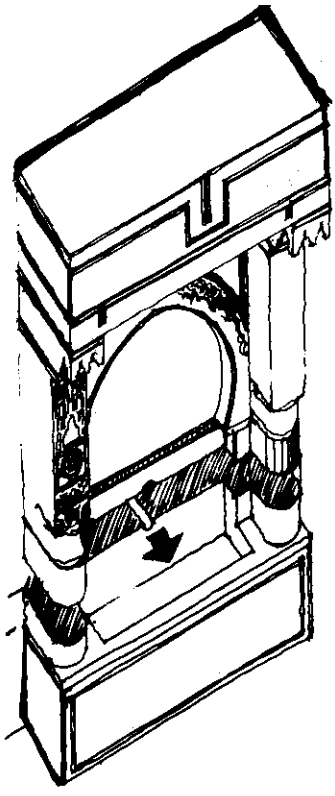

شكل (٩)

منظور واجهة بسقاية فندق التجاريين بفاس

(عن الباحث)

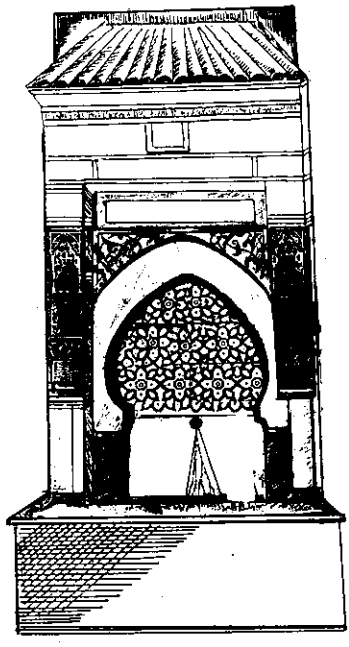

شكل (١٠)

منظور واجهة لسقاية فندق التجاريين

يوضح بعض التفاصيل الزخرفية

(عن الباحث)

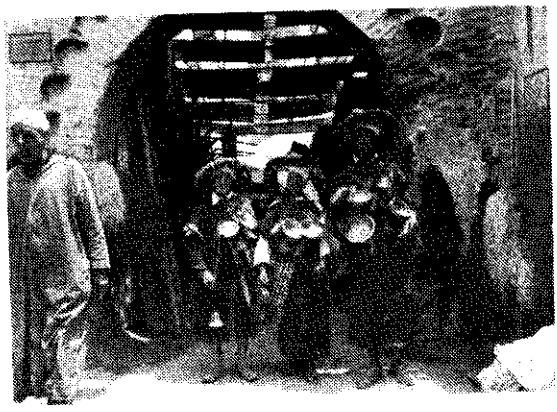

لوحة (١)

مجموعة من السقائين بمدينة مراكش (تصوير الباحث)

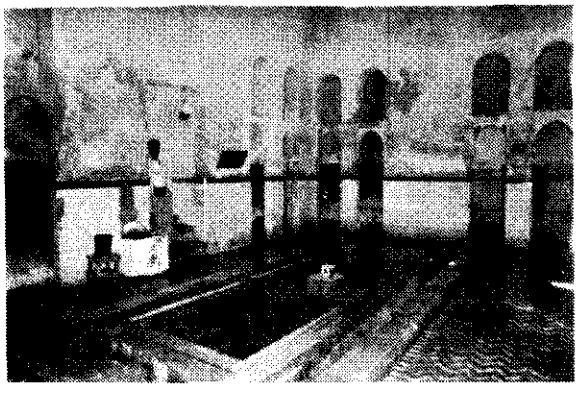

لوحة (٢)

نموذج للصهريج المكشوف بمراحيض جامع الأندلسين بفاس (تصوير الباحث)

لوحة (٣)

نموذج الصهريج مراكش المغطى (تصوير الباحث)

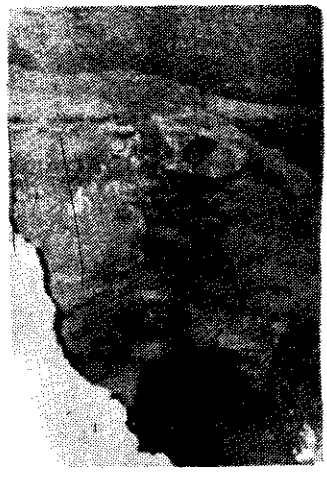

لوحة (٤)

نماذج للقصاب المعنية المجاورة لصهريج مراكش

(تصوير الباحث)

لوحة (٥)

السقاية الموحدية الملاصقة للباب الكبير بجامع الأندلسين (تصوير الباحث)

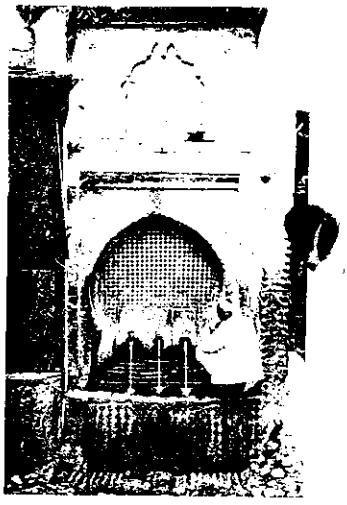

لوحة (٦)

سقاية سيدى فرج المرينية (عن الفريد بيل)

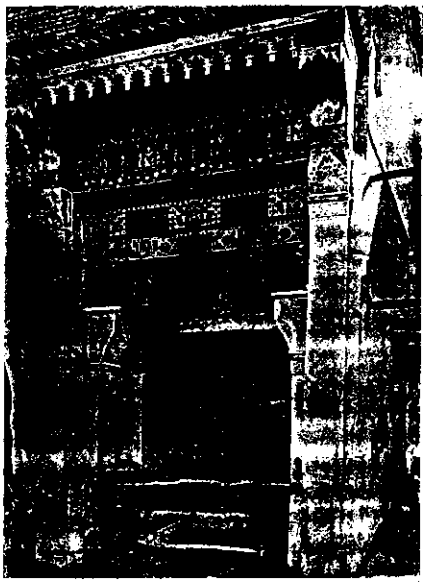

اللوحة (٧)

سقاية جامع المواسين بمراكش (عن Devrdum)

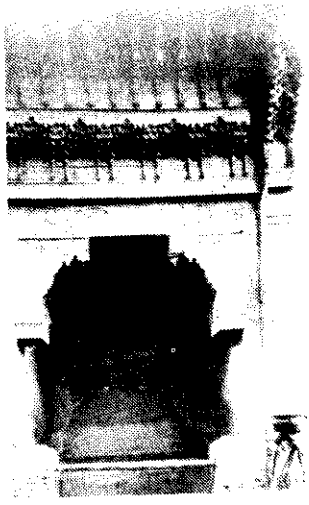

اللوحة (٨)

سقاية اشرب وشوف من العصر السعدى بمراكش (تصوير الباحث)

اللوحة (٩)

سقاية على بن يوسف من العصر السعدى بمراكش (تصوير الباحث)

اللوحة (١٠)

السقايتان المتقابلتان بصحن جامع القرويين (تصوير الباحث)

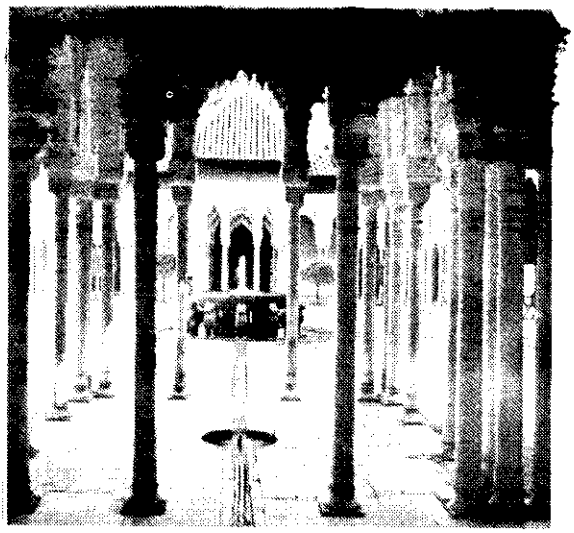

اللوحة (١١)

السقايتان المتقابلتان بصحن بهو السباع

فى قصر غرناطة (تصوير الباحث)

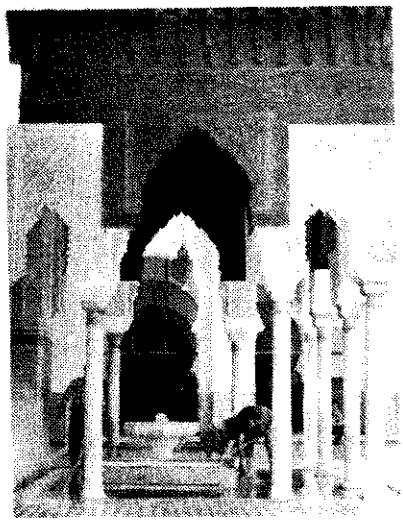

(ب)

(أ)

اللوحة (١٢)

السقاية الشرقية بجامع القرويين

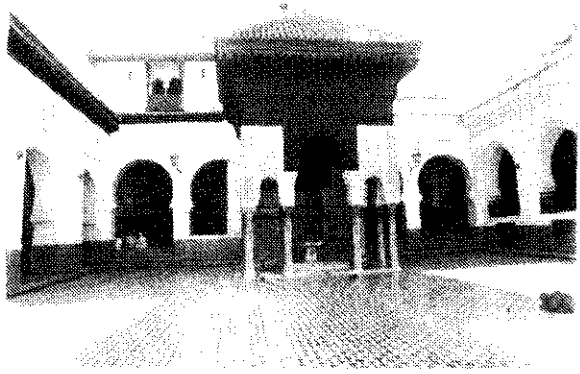

(أ)

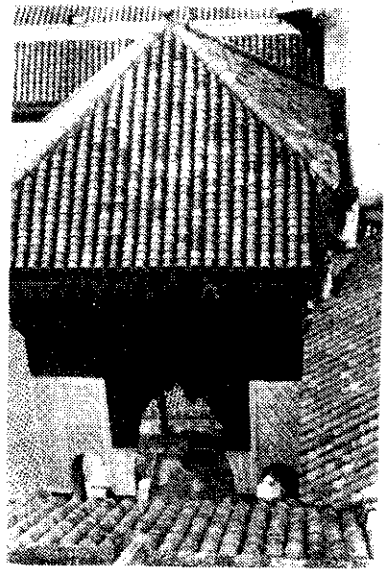

(ب)

لوحة (١٣)

السقاية الغربية بجامع القرويين

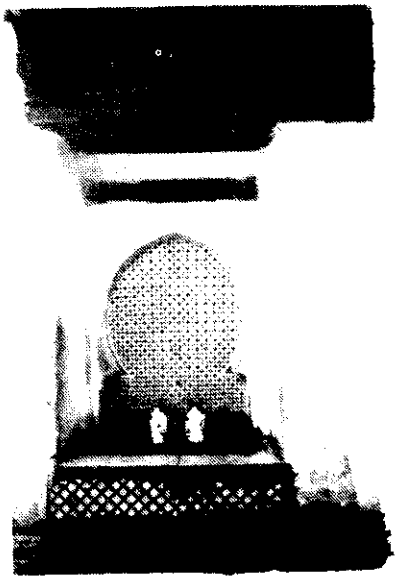

لوحة (١٤)

سقاية مدرسة الشراطين الخارجية

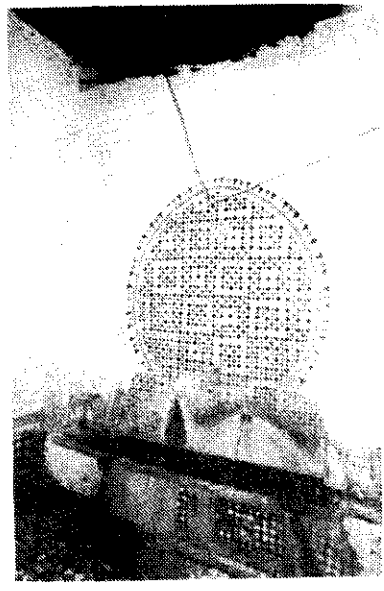

لوحة (١٥)

سقاية مدرسة الشراطين الداخلية

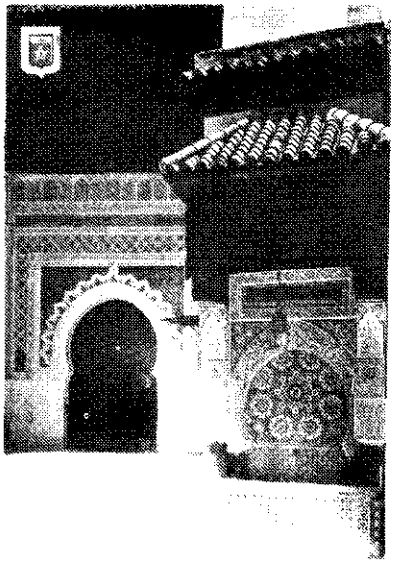

لوحة (١٦ أ)
سقاية فندق التجاريين بفاس
(عن وزارة الثقافة المغربية)

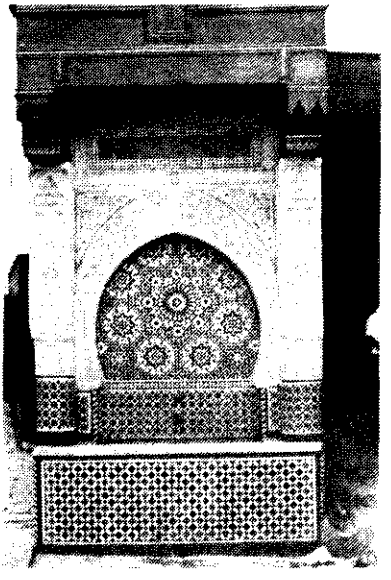

لوحة (١٦ ب)
سقاية فندق التجاريين بفاس (تصوير الباحث)

(أ)

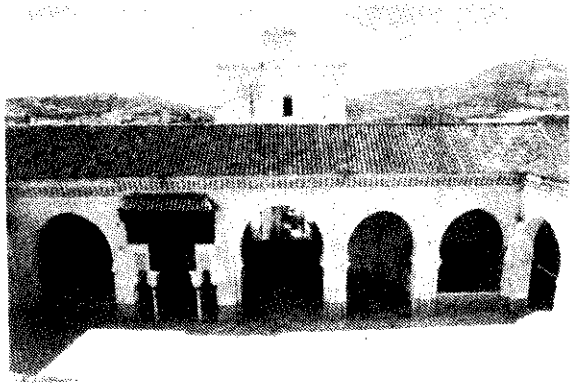

(ب)

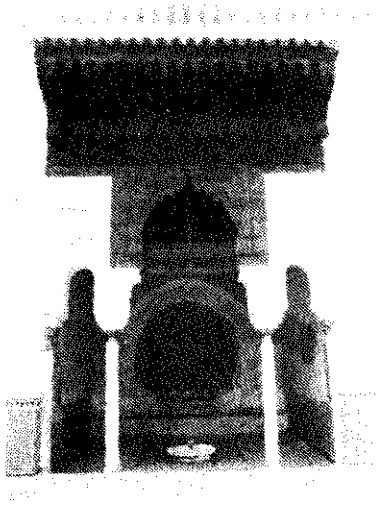

لوحة (١٧)

السقايات العلوية بجامع الأندلسيين بفاس

(تصوير الباحث)

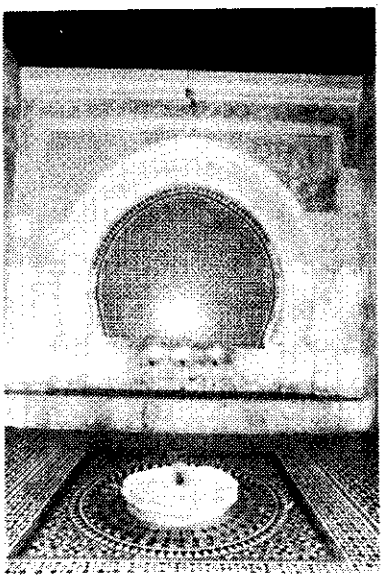

لوحة (١٨)

تفاصيل الصدرية والحوض بسقاية جامع الاندلسين

(تصوير الباحث)

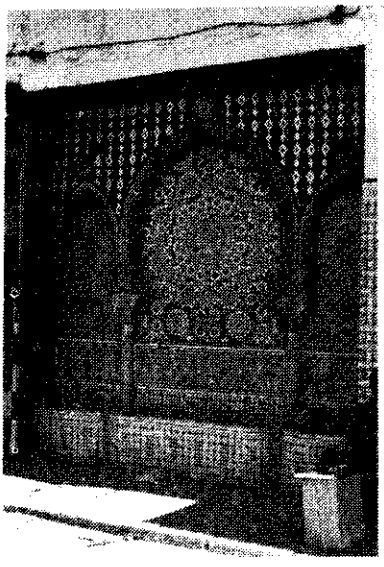

لوحة (١٩)

سقاية سوق الاسكافيين بمدينة الرباط

لوحة (٢٠)

(لوحة ٢١)

لوحة (٢٠ ، ٢١)

لوحتان توضحان سقاية شارع البهيه والتفاصيل الخارجية والداخلية

عن (Drik Hil.)

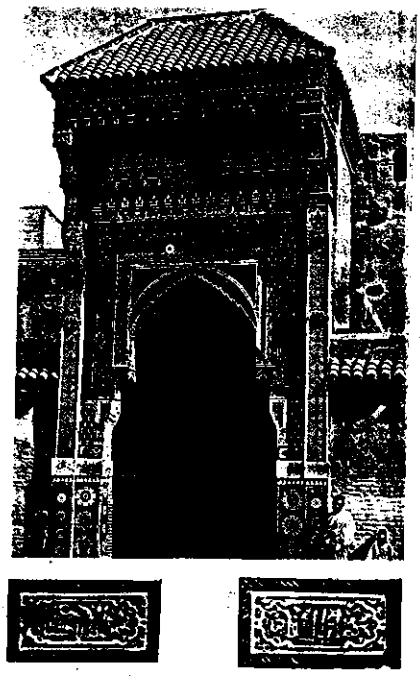

n^os 193 et 194. — Fontaine Sidi Bel-Abbès.

لوحة (٢٢)

سقاية سيدى العباس بمراكش (عن : Deverdum)

لوحة (٢٣)

نموذج للسبيل المملوكى بخانقاه السلطان الناصر فرج

(تصوير الباحث)